الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة

كلية اللغات و الادب العربي

التخصص : 3 ليسانس لسانيات عامة

مذكرة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الليسانس

موضوع المذكرة:

التجربة الشعرية و التجربة الصوفية

(قراءة في المفهوم)

من إعداد :

- تو اتي الضاوية
- حاكمي محمد

تحت إشراف الأستاذ :

* د.حاكمي لخضر

لجنة المناقشة :

الأستاذ :	رئيسا
الأستاذ : د.حاكمي لخضر	مشرفا و مقررا
الأستاذ :	مناقشا

الموسم الجامعي : 2019 / 2020

إلى من قال الله فيهما " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"

إلى مصدر الحنان حبيبة قلبي و روحي ، منبع الأمان إلى من ربتني ، فأحسنت تربيتي ، و سهرت على رعايتي و تعبت من أجلي و انتظرت نجاحي .

"أمي الحبيبة" رحماك يارب بغاليتي

أغلى إنسان H

إلى من ضحى بما يملك الى توفير الراحة و السعادة لي إلى من علمني حب العلم إلى سر نجاحي و أملي في الحياة * أبي العزيز" حفظه الله

و تحية الى سندي في الحياة و قدوتي و أعز إنسانة (ج. بهيجة)

إلى من قاسموني حلو الحياة و مرها ، العائلة الكريمة تواتي و عائلة حاكمي و عائلة بوجمعية ، شاوش إلى إخوتي و أحبتي و أصدقائي

شكر وتقدير

حق علينا أن نتوجه بالـــــشكر

إلى كل من أعاننا على إنجاز هذا البحث و نخص بالذكر هنا :

- **الأستاذ المشرف : الدكتور "حاكمي بخضر" على ما قدمه لنا من ملاحظات قيمة في سبيل إتمام هذا البحث على أحسن وجه فله منا أوفى الشكر و أرقى الثناء.**

الشكر موصول إلى أساتذتنا الكرام في كلية الادب و اللغة العربية و كذا عمال المكتبة المركزية إلى أختي أحلام ش، رحاب إلى كل من مد لنا يد العون فلهم خالص الشكر و التقدير

الحمد و الشكر لله تعالى

الفهرس

الاهداء و التشكر

مقدمة عامة.....

❖ **الفصل الأول : التجربة الشعرية**

- ✓ مفهوم التجربة.....
- ✓ التجربة الشعرية.....
- ✓ أنواع التجربة الشعرية.....

أ / تجربة ذاتية :.....

ب / تجربة عامة.....

ج / – ذاتية تحولت إلى عامة.....

- ✓ عناصر التجربة الشعرية.....

1 / – الوجدان.....

2 / – الفكر.....

3 / – الموسيقى.....

أ – الموسيقى الظاهرة : (الخارجية).....

– الوزن الواحد.....

– وحدة القافية.....

– المحسنات البديعية.....

ب– الموسيقى الخفية : (الداخلية).....

موضوعات التجربة الشعرية:.....

1/– الصورة الأخيلة.....

أ–خيال جزئي.....

ب–خيال كلي.....

التذوق الشعري في التجربة الشعرية.....

*الثقافة و المقارنة.....

❖ **الفصل الثاني : التجربة الصوفية**

- ✓ تمهيد:.....
- ✓ تعريف التصوف .....

أ/ لغة :.....

ب / إصطلاحا : .....

- ✓ مفهوم الصوفية :.....

أ/ لغة :.....

ب/ إصطلاحا :.....

- ✓ التجربة الصوفية :.....
- ✓ نشأة التصوف (التجربة الصوفية.....
- ✓ خصائص التصوف :.....
- ✓ قواعد التصوف .....
- ✓ صفات التصوف .....
- ✓ أهمية التصوف .....
- ✓ التجربة الصوفية عند صلاح عبد الصبور .....

نظرته الصوفية .....

❖ **الجانب التطبيقي: التجربة الشعرية و النزعة الصوفية من خلال "ترجمان الأشواق"**

- ✓ الملخص.....
- ✓ المقدمة.....
- ✓ أهمية الدراسة .....
- ✓ إشكالية أو أسئلة الدراسة.....
- ✓ أهداف الدراسة:.....
- ✓ حدود الدراسة.....
- ✓ منهجية الدراسة.....
- ✓ ابن عربي مساهمته الشعرية و قيمته الأدبية.....
- ✓ الشبكة الدلالية الثانية.....

✓ رمزية المرأة في الشعر الصوفي.....
الخاتمة.....
خاتمة عامة.....
قائمة المصادر و المراجع.....
الملاحق.....

مقدمــة :

حين نريد دراسة أو قراءة التجربة الشعرية و الصوفية نميز من المنطق وجود مستويين للحديث أحدهما فني و الأخر روحي أو عقائدي ، فنحن بصدد تجربتين لا تجربة واحدة:

التجربة الصوفية بأبعادها الحياتية المتكاملة من نفسية و أخلاقية و اجتماعية وفلسفية ، و التجربة الشعرية الفنية التي خاضها بعض المتصوفة الشعراء ولم يخضها المتصوفة جميعهم.

وإذا رغبنا أن نخلص الحديث في سياق الشعر لإحدى التجربتين دون الأخرى ، فإنه يصعب تحقيق رغبتنا وذلك للتشابه بين كل مفهوم كل من التجربتين:

التجربة الشعرية – كمجموع من احساسات و المشاعر و الأفكار التي تتراكم في نفس الفنان أو الشعر أو الأديب و تكون محلة باحتكاكه بجمعه و طرائق اتصاله به ، و التفاعل بينهما و هذه التجربة تكون عنصر أساسيا في شخصيته الفنية التي تبرز أثاره و التجربة الصوفية باعتبارها منهج روحيا و عقاديا و بفلسفة عرفانية لها مواقفها من الحياة و الكون و الانسان لذلك اننا يجب أن نراعي العلاقة التزامية القائمة بين التجربتين، بأن التصوف ليس مجرد ثقافة دينية أو اقتناء مجموعة من الرؤى الايديولوجية ، يقتنع بها الانسان ، فيستغلها في حياته ، و انما هو برنامج لرياضة فكرية و نفسية على سالك طريق التصوف أن يقطعها مرحلة مرحلة.

لقد تميزت التجربة الشعرية بتطور كبير و ذلك لسعي و محاولة الشعراء إغنائها بقيم فنية جديدة يكون فيها تجاوز للواقع و تجاوز للوعي نفسه ، ذلك الواقع الذي تتكاثف فيه ظلمات المكان و الأوضاع المتردية و العجز عن مسايرة العصر الى رؤية فنية جديدة ملتقاة من التراث العربي الاسلامي كبديل من ما فقده من راحة و طمأنينة، ووجدوه في رحابه أمانا، وهذا ما يحدد صفات التجربة الشعرية عند الشاعر الصوفي و طبيعتها المهتمة برصد المراحل التي يقطعها الصوفي في رحلته العرفانية، و ما يكثف هذه المرحلة من رؤى و أحلام و مدركات و خلق و ذكريات و انفعال بما يعترض طريقه من عقابات و ما يعتريه من رجاء أو لذة أو أمل في الخلاص .

الشاعر في صدوره عن هذه التجربة الروحية يصور انفاعلاته في منظوره، يتأملها بصدق و اخلاص فني يمليه ما عليه وعيه للتجرة العرفانية ، لأنها منبع ما يخامره من أطياف في طريق على بحثه اليقين الذاتي عبر طمأنينة الروح الهائمة في دنيا العبادة الخالصة.

مجددا مع كل ذلك موقفه الحضاري و سياقه الوجودي الذي عليه أن يجاهد ليبلغه تجربه الشعرية ، من مجرد موقف ذاتي الى موقف انساني عام، تتجسد فيه مستويات التجربة من نفسية و اجتماعية وفكرية ، ولذلك سنراعي بالحاح حضور السيإق العقائدي العرفاني في الرؤية الفنية لتجربة الشعر الصوفي حتى تتجنب المنحدر الذي خفت إليه خطأ بعض الدارسيين وذلك حين صنفوا الشعر الصوفي الى ثلاث أبواب : الحنين الى الديار ، شعر

المرأة ، وشعر الخمر، وهذا التصنيف لا يخلو من التعسف في التعامل مع هذه النصوص الشعرية .

إن ثراء كل من التجربة الشعرية و الصوفية و غموضها و تميزها عن باقي التجارب الشعرية ، هو كا دفعنا إلى طرق باب هذا الموضوع ، طامحين في كشف ما تزخر به هذه القراءة حول مفهوم التجربة الشعرية و الصوفية من عمق وزخم تشفيري ايحائي ، نابع من ذوات شعراء و محاولة فهم ذهنياتهم ورؤيتهم للوجود، و كذا إبراز بعض الجوانب الجمالية و استجابة لهذا الدافع إرتأينا أن نتخذ دراسة حول الإشكالية الأتية :

ما مفهوم التجربة الشعرية و الصوفية ؟ ماهي أبرز عناصرها؟

وبماذا تميزت كل منهما ؟ فيما يتجلى قواعدها ؟

إن محاولة الكشف عن المعنى المخبوء والدلالة العميقة التي تحتص بها التجربة الشعرية الصوفية و القراءة في مفهومها جعلت إختياري يقع على ابن عربي : التجربة الشعرية و النزعة الصوفية من خلال " ترجمان الأشواق" باعتباره جزء من كتاب الدكتور لحضر حاكمي لما له من جوانب و أبعاد جمالية ، وفوارق جوهرية و الذي كان له الفضل في إختياري.

وقصد طرق هذه الاشكالية و الاجابة عن التساؤلات قسمت بحثي هذا الى خطة معتمد وفصلين خصصت ، الفصل الأول للتجربة الشعرية و عناصرها ، بالاضافة الى التذوق

الشعري و تأثيراته ، أما الفصل الثاني فيشمل التجربة الصوفية نشأتها ، أهم مميزاتها ، أهميتها و النظرة الصوفية لدى صلاح عبد الصبور و كنموذج دراسة ديوان " ترجمان الأشواق"

ثم خاتمة و قائمة المصادر و المراجع ، وقد اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي

ولا أخفي أنه واجهتني بعض الصعوبات أثناء إعدادي لهذه المذكرة من بينها : غموض اللغة الصوفية و عسرها.

غلق المكتبات بفعل الحجر الصحي الذي شمل مختلف ولايات الوطن إثر جائحة كورونا virus الذي أسر العالم بأكمله و حصد أرواحا كثيرة نسأل الله العلي القدير أن يرحم الموتى أجمعين و أن يرفع عنا هذا الوباء و البلاد.

و في الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر لكن من إحتضن هذا العمل ، بدءا " بالأستاذ المشرف د. لخضر حاكمي ، و مرورا بكل من ساعدنا من أساتذة ، ووصولا إلى قسم اللغة و الادب العربي بجامعة مولاي الطاهر – سعيدة – بصفة عامة.

و لا يفوتنا قبل الختام أن نحمد الله و نثني عليه ثناء يليق بجلاله على توفيقه و فضله في كل شيء.

مفهوم التجربة :

التجربة في معناها العام كل ما يكتسبه المرء من خبرات عملية و نظرية نتيجة تضافر مجموعة من العوامل و الظروف ، يعمل الادراك فيها في استيعاب الانسان لها . و التجربة قسمان " تجربة الفرد و تجربة النوع ، و هذه الأخيرة هي التي تنتقل إلينا بالتربية و اللغة و التقليد ، أو بالوراثة النفسية و الفيزيولوجية . ولا يطلق لفظ التجربة إلا على التغيرات الأخرى كالنسيان و عدم المبالاة ، وفساد الأخلاق ، فلا تسمى تجارب ".[1]

يطلق لفظ التجربة في نظرية المعارف على المعارف السليمة التي يكتسبها الطفل بتمرين ملكاته المختلفة ، من حيث كونها مستمدة من خارج العقل ، وكسبت في طبيعته.[2]

و لهذا يفرق الفلاسفة بين التجربة الخارجية (بطريقة الادراك الحسي) و التجربة الداخلية (بطريقة الشعور) و من ثم أملن تسمية الحاصل من العقل قبليا **(Opinion)** و الحاصل من التجربة بعديا [3] **(a posteriori)**

التجربة الشعرية هي الخبرة النفسية للشاعر حين يقع تحت سيطرة مؤثرها فينفعل به فإذا سيطر على نفس الشاعر موضوع أو فكرة أو شهد من مشاهد الحياة فتأثر به و إستغرق في

[1] -د.جميل صليبا: المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية و اللاتينية)،دار الكتاب العالمي ، بيروت ، لبنان ، ط 1994 م ، ج / ص 243

[2] -ينظر : مراد وهبه: المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة – القاهرة ، ط /2007م ، ص 165

[3] - المرجع نفسه ، ص 245

فجاشت نفسه و تحركت خواطره و اندمج فيه بوجدانه و فكره و صاغه في الاطار الشعري الملائم.

فالتجربة الشعرية هي رؤية و معايشة و انفعال صادق.

إن التجربة الشعرية باعتبارها تجربة جمالية و فردية ذوقية بالدرجة الأولى و ما ورد من تعريفات فهو من قبيل التذوق الفردي و الرؤية النقدية الخاصة التي تخص كل ناقد ، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نتحدث عن التجربة هنا دون أن نأخذ في الحسبان الغة كونها الفضاء الفني الذي تستقر فيه القيم الوجدانية و تحدد فيه الرؤى الذاتية مع ما يعتر بها من غموض و يلفها نقص مفي تمرير النزاعات الشخصية تمريرا كاملا و لهذا قال :

مالازمية عن الشعر بأنه " لا يصنع من الأفكار ، بل من الكلمات نفسها " [1]

يعرف ريتشارد التجربة الشعرية على أنها " نزعة أو مجموعة من النزعات تسعى إلى أن تعود إلى حالة الهدوء و السكون بعد الذبذبة.[2]

التجربة الشعرية إذن هي ملاذ الشاعر " فإذا كان الانسان العادي غير قادر على لملمة أطراف التجربة التي خاضها و تجميع أشلائها ، المبعثرة فإن الشاعر الحاذق ينظم خرزاتها في سلك واحد و يستخلص منهçا نتائجهات و يربط بينها ربطا خفيا بما يضبط هذه العلاقات في أعماقه و لكنها تقفز الى القمة حين ينفجر البركان ، و يتطاير شظى الأحداث

[1] - أرشيبالد مكليش: الشعر و التجربة ، تر: سلمى الخضراء الجيوسي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة : القاهرة – مصر ، ط 1966م ، ص 46
[2] -ريتشاردز : العلم و الشعر ، تر : مصطفى بدوي ، المؤسسة العامة للترجمة و الطباعة و النشر ، القاهرة ، 1963 م ، ص 19

المترسبة في تلك الأعماق في غير نظام كما يظهر للرائي ، و إن كانت تنطلق في حقيقتها من الرؤية الفنية الخاصة التي كونها الشاعر من عصارة اتصالاته و احتكاكاته ، ومن خلال تناقضه عما يحيط به.[1]

و الشاعر إذ يكابد التجربة الشعرية ، فإنما هو يكابد نوعا من العذاب يحاول أن يتخلص منه ، كما يتخلص الجسد من جرثومة ضارة [2]و إذا كان ما يقدمه الشاعر ، أو يتخلص منه إنما هو عمل فني جميل ، قد تعلو درجته أو تقل من حيث القيمة الفنية وفقا لتضافر مجموعة من العناصر بعضها خاص بذات الشاعر و قدراته الفنية ، و البعض الأخر خاص بخصوبة التجربة و المؤثرات المحيطة به.

التجربة الشعرية هي تجربة لشاعر على صلة بالحقائق النفسية و الكونية التي تتقوم بها تجربته ، كما أن مركزها هو الشاعر و العلاقة غير المنظورة أو غير المتعينة بين الشاعر و العالم ، أي أن العلاقة الخفية ، هي عنصر جوهري في هذه التجربة ، إنها بمثابة الخط الناظم لذات الشاعر ، و عالمه.[3]

[1] -قاسم ، عدنان حسين : التصوير الشعري- المنشأة الشعبية للنشر و التوزيع و الاعلان ط1 ، 1980 ، طرابلس ، ص 18

[2] - برتيلمى ، جان : بحث في علم الجمال – ترجمة أنور عبد العزيز – مراجعة نظمى لوقا – دار نهضة مصر القاهرة ، د.ت ، ص 100 ، 101

[3] - راجع هاملتون : مصدر سابق ص 135-136

إن التجربة الشعرية عند **ولسن** تؤطر لفكرة الغياب أو الفناء في المعتقد الصوفي ، أي إنمحاء شخصية الشاعر بين عالمه الداخلي و العالم الخارجي (فالفناء الصوفي بمثابة زوال الشخصية من أجل بقاء معاني الربوبية في ذات الصوفي).[1]

نستطيع القول : إن تعدد القراءة النقدية في صناعة مفهوم جامع مانع لمصطلح التجربة الشعرية قد يلفه بعض الغموض لأن فعل القراءة في إعتقادنا مردود الى الممارسة الشعرية في حد ذاتها ، و إلى لحظات التأمل القصوى التي قد تتعالى على محدودية التعريف و على معيارية الحكم .

ولهذا نحسب أن نواة الإبداع الشعري في حد ذاته سبيل الى الدخول فلسفة الذات الشاعرة ، التي قد تجلينا إلى رؤى تتاخم بشكل من الأشكال مسارب العملية الابداعية الشعرية عموما ، و الصوفية بشكل خاص .

فالتجربة الشعرية تجربة فنية تنتج بسبب أفعال لونية متعددة، منها: الفعل الأخلاقي، و الفعل السياسي و الفعل الديني.

يعتقد **مكليش** من هنا أن بناء الكلمات باعتبارها رموزا هو بناء صوتي بالدرجة الأولى ، يستطيع تسريب المعنى من خلال منطقة الأشياء التي تبدو غير منطقية في العالم الخارجي ، و لهذا قد تسعفنا الاستعارة في صنع الدلالة بين أشياء لا علاقة بينها في الواقع ، و تنتج بالتالي صورة ، وإن هذه الأخيرة " لا ترد متزاوجة في الشعر لتثير العواطف ، ولا تتزاوج

[1] - عباس يوسف الحداد : ص 39-38

لتؤكد لحظات التجربة الانسانية التي أحست بها العواطف و لمستها ، و إنما تتزاوج لتثير العواطف نحو إدراك لحظة من التجانس الكوني .[1]

أما الباحث **كولن ولسون** فقد بين في كتابه (الشعر و الصوفية) و ظيفة الفن عامة و الشعر خاصة باعتبار " أن الشعر و التأمل الديني متشابهان في أساسهما ، فلهما نفس الهدف ....وما الفن كله سوى محاولة من الإنسان لإمتلاك تثبيت التجربة كما يمكن إعادة خلقها . و أبسط أشكال الفن هو الفن الرومنسي".[2]

و من هنا فإن التجربة الشعرية تجربة تأخذ في الحسبان و التأمل كبداية للإثارة الشعورية ، و بالتالي الشعرية ، لأن " الفن ينتمي إلى مستوى مختلف من التجربة [3]، هو التجربة التأملية".

[1] - أرشيبالد مكليش : الشعر و التجربة تر : سلمى الخضراء الجيوسي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة : القاهرة ، مصر ، ط 1966 ، ص 77
[2] - كولن ولسون : الشعر و الصوفية تر : عمر الديراوي أبو حجلة ، دار الاداب بيروت ، لبنان ، ط 2 : يناير 1979، ص 51
[3] -روستيربفور هاملتون : الشعر و التأمل تر : مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة القاهرة ، 1963، ص 214

أنواع التجربة الشعرية

أ / تجربة ذاتية :

و فيها يطيل الشاعر في التأمل في عالمه الخاص به مثل قصيدة " المساء المطران " و " صخرة الملتقى " لناجي و شاعر صورة الكمال لعبد الرحمان شكري و هي ما تعبر عن ذات الشاعر و تصور أحاسيسه و مشاعره .

ب / تجربة عامة : (إنسانية)[1]

و هي التي ينتقل الشاعر فيها من إطار عالمه الخاص الى العالم المحيط به و الذي يرتبط به ماديا أو معنويا أو روحيا مثل : " كم تشتكي " لإيليا أبو ماضي و " النسور " لمحمد إبراهيم أبو سنة .

و هي ما تتجاوز ذاتية الشاعر لتعبر عن أفاق عامة سياسية مثل قصيدة " دعوة الى الثورة على الظلم " للبارودي

ج / – ذاتية تحولت إلى عامة :[2]

وهي التي ينفعل فيها الشاعر بحدث معين ثم تقوى عاطفته و يشارك الأخرون مثل قصيدة " غربة و حنين " لشوقي .

[1] - المرجع نفسه ، ص 213
[2] - نادين مدحت www.khayma.com/28/8

و تظهر عندما ينفعل الشاعر بموضوع معين فيؤدي شدة انفعاله الى تحويلها الى تجربة تتناول مشكلات الأخرين .

عناصر التجربة الشعرية

1/ – الوجدان :

و تسمى الشعور ، الاحساس ، الانفعال ، العاطفة ، الصدق الفني و هو مجموعة الانفعالات التي خضع لها الشاعر لسيطرتها و انفعاله بتجربتها و استغراقه فيها و التعبير عما يعانيه بصدق بلا زيف أو مبالغة و بدون الصدق الشعوري لا يعد الشعر شعرا : فالوجدان الصادق أساس التجربة هو الذي يمنح الشعر الحيوية و القوة و التأثير ، فهو الشعور النفسي النابع من قلب الشاعر الذي يجعل شعره صدى لتجربته ، و تعبيرا عن ذاته فهو انفعال الشاعر بالتجربة و أحاسيسه النفسية من سخط أو حزن أو ألم أو حيرة و يشترك في الوجدان " الصدق الشعوري " لأنه أساس الجودة في التجربة و إلا تحولت نظم دون شعور . [1]

اختلاف الوجدان : يختلف نوع الوجدان بين شاعرين أمام مشهد واحد :

فحين تقرأ المساء المطران تحس معه الحزن و الكآبة و التشاؤم حتى أن كل مشاهد الطبيعة من حوله حزينة عابسة .

وحين نقرأ المساء لإيليا نراه متفائلا سعيدا يدعو المتشائمين الى أن ينظروا للطبيعة الجميلة الساحرة .

[1] -www.shanaway.ahlamontada.comالمناهج الدراسية ، أشرف علي ، 6 ابريل 2012

2 / – الفكر :

و يسعى موضوع الأبيات أو المعاني التي ساقها، الشاعر، و هو الموضوع العام وما يندرج تحته من أفكار جزئية ، فليس معنى أن الشعر تعبير عن تجربة وجدانية أن نخرج منه الفكر ، فأساس الشعر الجيد أن يمتزج الفكر مع الوجدان ، و أهمية الفكر ترجع الى أنه :

3 / – الموسيقى :

وهي الوزن و القافية و الجناس و كل من جرس موسيقى الشعرية تعد عنصر حيوي هام من عناصر الصياغة في التجربة الشعرية له أثره النفسي الذي يحقق للنفس المتعة حين يقرأ أو يسمع قصيدة فيحدث فيها ذبذبات و هزات خاصة نتيجة لتفاعل الألفاظ و العبارات و الصور الأخيلة و اتساقها في وحدة نغمية لها أثرها في النفس و الموسيقى في الشعر نوعان : ظاهرة و داخلية

أ / – الموسيقى الظاهرة : (الخارجية) : وتتمثل في :

1 – الوزن الواحد : و هو وحدات موسيقية تسمى تفعيلات و وظيفتها ضبط النغم و كل مجموعة منها تسمى بحرا.

2– **وحدة القافية** : و هي اشتراك يتبين أو أكثر في الحرف الأخير و حركته ، و وظيفتها ضبط الإيقاع ، وتحقيق المتعة .

3- **المحسنات البديعية** : من جناس و حسن تقسيم و تصريح و كل ماله جرس صوتي تحسه الأذن.

ب-الموسيقى الخفية : (الداخلية)

و تنبع من اختبار الشاعر لألفاظ موحية منسجمة و من جودة الأفكار و عمقها و ترابطها و تسلسلها ، و من روعة التصوير .

إن عالم الشاعر و تجربته الشعرية ، ليس عالما كميا فقط ، كما أن محتويات الشعور لا تنفصل ، على نحو ما نفعل حين نحلل الجسم تحليلا كيماويا .

فالتجربة الشعرية منسقة بشكل فني ، و جميع عناصرها متداخلة و هذا هو الذي يسمح بالاستخدام الخيالي للغة ، كما أن اصطلاحي (الكل و الجزء) لا ينطبقان حرفيا على هذا الكل المتداخلة عناصره و الممتزجة ، فللتجربة الشعرية نفس نوع التعقيد الذي يوجد في شخصية الفرد و كل عنصر من عناصر تجربتنا ملون بلون جميع العناصر الأخرى .[1]

[1] - هاملتون : ر: الشعر و التأمل ترجمة محمد مصطفى بدوي ، مراجعة سمير ، القلماوي ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف و الطباعة و النشر ، القاهرة ، د ت ، ص 53.54

التجربة الشعرية اذن تجربة كلية ، و لا يمكن فصل عناصرها ، أو تجزئتها و ما يتم خلال العمليات النقدية إنما هو نوع من التحليل من أجل الدراسة فحسب لكنها كتجربة تكون شاملة و كلية في كيان الشاعر و الملتقى .

موضوعات التجربة الشعرية:

موضوعات التجربة الشعرية ليست محددة لا حصر لها فهي تتسع و تتنوع لتشمل كل ما في الحياة صغر أو كبر مما يؤثر في نفس الشاعر من النواحي الكونية أو النفسية أو الاجتماعية : ونوع الموضوع و اذا اجتمع جلال موضوع و صدق العاطفة زاد ذلك من قيمة التجربة و سما بها ، و بعضها ذاتي خاص بالشاعر كقصيدة المساء المطران و بعضها عام يمس جانبا سياسيا أو اجتماعيا يشغل الناس لقصيدة دعوة للثورة للبارودي و حنين لشوقي .

تتشكل التجربة الشعرية إذن من حقيقة حسية أو نفسية ، أو ما أسماه **ريتشاردز** ب :

الصدق الشعري ، رافضا منطقة الشعر ، لأن النتائج التي نستخلصها لا يمكن التعامل معها على أنها منطقية ، بل هي على الأرجح نتيجة لانفعالات متواترة ، تحيلنا بالتالي الى جعل الانفعال و الشعر وجهين لعملة واحدة .[1]

ان **ريتشاردز** قد ضم التجربة الشعرية ضمن خلقه التجارب البشرية عموما و أعطاها بذلك بعدا غريزيا ، بيد أننا نلفي هاملتون يوسع من مجال هذه التجربة بقوله " إن نظرية الشعر

[1] أرشيبالد مكليش : مرجع سابق الذكر ، ص 46

في جوهرها تعني بالتجربة الخيالية التأملية التي تنشأ عن طريق وضع الكلام في نسق من الوزن خاص كما تعني بقيم هذه التجربة " ، و لهذا نرى أن الشعر بناء جديد للغة العادية يعمل على تمطيط دعائم التجربة الشعرية من خلال المحاوزة اللامباشرة بين المؤلف و القارئ ، فالمؤلف الا من خلال ما حصله من قراءة و القارئ أيضا لا يصل عتبة التأليف إلا من خلال ما يقرأه من مؤلفات .

1/- الصورة الأخيلة :

الخيال من أقوى الوسائل في التعبير عن الفكر و الشعور معا تعبيرا مؤثرا ، فهو أشبه بثوب العروس الذي تتجمل به القصيدة .

فالشاعر ينقل من خلال تجربته الشعرية صورا فنية يعبر فيها عن رؤيته إلى العالم من خلال مقاطع القصيدة فتشعر بالحركية المجسمة و كأنك أمام صورة حية فهي تعكس الواقع و لا تزيفه[1] و هي نوعان :

1/ خيال جزئي :

و يشمل التشبيه و الاستعارة و الكناية المجاز

2/ خيال كلي :

و يسمى أيضا بالصورة الشعرية أو اللوحة الفنية أو الصورة الكلية ، و الطريقة التعامل مع الأبيات لاستنتاج رسوم ، الصورة يتمثل في :

1-وصف الصورة من خلال ألفاظ الشاعر ووجدانه.

2-تحديد أجزاء الصورة و هي أشياء محسوسة التي يمكن أن ترى و تحس

3- استنتاج أطراف الصورة و هي :

[1] - د: سلوى عزازي ، 14 سبتمبر 2010، www.delta-schools.com/vb/t10654.html

أ–الصوت : في الألفاظ التي نسمع من خلالها صوت

ب– اللون : الألفاظ التي ترى من خلالها (الحركة) لونا

ج–الحركة : بالألفاظ التي نحس من خلالها الحركة .

1/ يمنح التجربة عنصر الدقة

2/ ويحول دون انسياب العاطفة

3/ يساعد على تنسيق خواطر الصورة و الربط بين أجزائها فالشاعر الحق هو الذي يفكر بوجدانه ويشعر بالحق.....

ولذلك يعاب قول الشاعر الذي فيه انسياب العاطفة دون الفكر

(الفكر) التجربة الشعرية تحتاج الى فكر راق فالشاعر يشعر بقلبه و يفكر بعقله فتجد أن شعره موضوع هاما يهدف من خلاله ارسال رسالة معينة للقارئ

ح–الصورة التعبيرية أو الصياغة الشعرية:

وهي التي تتمثل في ألفاظ وعبارات و صورة و الأخيلة و الموسيقى و التي تتعاون مع بعضها في تعبير عن افكار الشاعر و أحاسيسيه .

الصورة التعبيرية ونقصد بها صيغة الشاعر التي يمتزج فيها الفكر بالعاطفة ، و تشارك الألفاظ و التراكيب و الصورة و الأخيلة و الموسيقى للتعبير عنها.

و عناصرها هي :

1-الألفاظ و العبارات :[1]

الكلمة هي مادة التعبير عن التجربة الشعرية وهي الأداة السحرية في يد الشاعر بما يحملها خلال الصياغة من دلالات و ايحاءات و ليس هناك ألفاظ خاصة بالشعر فكل كلمة يمكن استخدامها بحيث تعطى في موقعها مالا تعطي كلمة أخرى.

2-الصورة و الأخيلة : و هي نوعان

أ/ خيال جزئي

ب/ خيال كلي

[1] - سلوى محمد أحمد عزازي : مناهج و طرق تدريس اللغة العربية ، عضو الجمعية الصمرية للمعلمين ، مكتبة الكتب ، الوسائط المتعددة 14 سبتمبر 2010.

التذوق الشعري في التجربة الشعرية :

في خاطرة سابقة حاول هذا المحك أن يبلور مسألة تجمع بين النقد و المتعة ، وهي "التذوق ألشعري" لكنه أخفق في الوصول لمنهج يمكن اتخاذه أساسا لفهم الشعر و إفهامه و ذوقه و إذاقته.

وها هو ذا يحاول مرة أخرى لعله يظفر بطريقة ناجحة مشفوعة بضوابط محددة تعين القارئ على قراءة الشعر وعلى تدبر ما فيه من أسرار الجمال ، وتضع بين يديه مفاتيح هذه الأسرار ليديرها في أقفالها ، عسى أن يعلم ما يجهل من خفايا هذا الفن العريق في حياة العرب .

وفي سبيل الوصول لهذه الطريقة يحسن بنمحك أن يبدأ بالأصل و إن يفرع منه الفروع التي يراد لها أن تتحول إلى ضوابط تجنبه الغلو و الشطط و لها كان الأصل الذوق ، و كان الذوق ملكة فردية لا معادلة رياضية ، و لا قانون من قوانين الفلك ، فعلى المحك أن يحرص الحرص كله على الحد من الطغيان العنصري الفردي و النقد فيه في تكوين الذوق ، و على فسح المجال و العناصر الموضوعية لكي تشاركه في التمرس في بفهم النصوص و تذوقها ، ترى أيمكن أن يحاط الذوق بضوابط تكبح جامحه؟

و ماهذه الضوابط و قدرتها على تحويل الذوق من خطيب يرتجل الحكم الى قاضي عدل يؤثر الرؤية قبل أن يقضي بين الناس.

***الثقافة و المقارنة:**

ربما كانت ساعة الاطلاع على التجربة الشعرية قديما و حديثا ، و عربيا و أجنبيا أهم الضوابط التي يحتكم إليها التذوق الشعري في التمييز الجيد من الرديء. [1]

و في تعليل الميل و الإعراض ، فأنت لا تستطيع أن تقدم أبا الطيب المتنبي في الحكمة على من سبقه و من لحقه مالم تطلع على حكم زهير و أبي العتاهية من سابقيه، و على حكم أبي العلاء وشوقي من لاحقيه ، وبعد الاطلاع و المقارنة يتبين أن حكم المتنبي عصارة تجارب و خلاصة ثقافة و تصوير واقع ، و تأريخ حياة [2]، فلا تملك إلا أن تطرب لها ، قمع الهوى بالعقل ، وردع التعصب بالانصاف و هذا الضابط معب المرتقى، بعيد المنال ، لأن إصطباغ الثقافة بصفة خاصة يقصي الى التعصب ، فالأستاذ الجامعي المكب على درس التراث بتعصب للقديم على الحديث ، و يتكلف المدح و الاطراء لكل موروث كأنه يدافع عن شيء مقدس ويسبغ عليه من الثناء و يسبغه المحامي البارع على موكله و لو كان من أخس المجرمين ، و الناقد الأكاديمي الدارس أدب الغرب المتأثر بالرمزية ، المغرم بالتناص و التفكيك يرى الجمال كله في الحداثة المغرقة في الغموض و بلصق القبح كله بشعر السلف و شعر من انتهج نهجهم من الخلف ، و اهذا فعلى الأول أن يأخذ من الحداثة بنصيب و على الثاني أن يأخذ من الأصالة بنصيب لتتعادل كفتا الميزان في تذوقيهما و أحكامهما ، إذ قدم امرأ القيس – وحقه أن يتقدم – فعليه أن لا يبرئ شعره كله

[1] - غازي مختار طليمات ، التذوق الشعري ..... ظوابطه و عوامله (2) ، 14 مارس 2002
[2] - نفس المرجع السابق

من الحوار و أن لا يسوغ سقاطته بالاعتذار صحيح أن الشاعر الضليل صور الصيد و الشواء و الفرس فأحسن ولكنه صور أصابع صاحبته فأساء حينما جعلها " أريع ظبي أو مساويك إسحل"

فالتذوق الشعري السليم ينفرد من الدود اللزج ، و المساويك الصفراء اليابسة .

وثالث الضوابط المعينة على التذوق الشعري ربط التجربة الشعرية بصاحبها ، وبالظرف إكتنفه ، وكان الدافع إلى نظمه ، و في التزام هذا الضابط رد على الذين دعوا إلى اغتيال الشاعر بخنجر الناقد ، وزعموا أن المؤلف قد مات ، و ان لكل قارئ الحق في تفسير تجربته الشعرية على النحو الذي يتراءى له .

قال أبي الطيب وهو يخاطب نفسه " كفى بك داء أن ترى الموت شافياً" إلى اذا عرفت أن الدنيا على سعتها ضاقت بالشاعر بعد أن فارق سيف الدولة، فاضطر الى مدح من يكره ، ومصانعة من يحتقر ، فمتى تمثلت الحدث تذوقت ما في تجربة الشاعر من إخلاص.[1]

التعامل مع القصيدة معاملة المشل البارع للحوار وهو يؤديه أو يشارك فيه أي : أن تضع نفسك موضع الشاعر فتتمثل ما يعروه كما يتقمص الممثل أفكار الشخصية التي يمثلها و مشاعرها ، فيتنقل إليك بقسامته و حركاته و صوته و نبرة تفجر الغضب و الطمنينة و توتر القلق و الخوف ، فإذا قرأت قول أبي الأسود الدؤلي : نموت مع المرء حاجاته و تبقى له حاجة ما بقي فتصور و أنت تنشد البيت أنك عائد من جنازة و أنك شيعت صديقا كان شديد

[1] - المرجع نفسه.

الحرص على الدنيا كثير المال و الأعمال ، و أن ماله و مشاغله و متاجره و دفاتره كفنت بكفنه ، و دفنت بدفنه حينئذ يهزك ما في البيت من حسرة و عبرة.

و لنا أن ةنضيف الى هذه الضوابط الأساسية عوامل تنصح بها للناشئة ، و تدرب بها من لا درب لهم بسماع الشعر و تذوقع و انشاده بالتجربة الشعرية ، أولى هذه العوامل أن تختار المقطعات المؤلوفة المفردات البديئة من التعقيد و الاغراب، القريبة من قلوب الشباب الرشيقة الأوزان ، الواضحة الصور، السخية بمعانيها ، التي تبوح بما فيها بلا تفسير ، فتدفعها إلى ملحن يصنع لها إيقاعا يزيدها تطريبا و تحبيبا.

و اذا هم شعراء بالقوة قبل أن يصبحوا شعراء بالفعل يمتلكون أدوات النظم ، و ثانيها أن تنقل الدربة من السمع الى النطق أي : أن تعلم الناشئة كيف ينشدون.

وبهذا الأسلوب التعليمي التلقيني تلقى أحفل البذور بالخصب في أكثر النفوس . إن التعامل الجدلي بين ذوق و ذوق ينجم ذوق أخر يأخذ من النقيض و يوازن بين الكفتين ، فلا يتعصب لقديم على حديث ولا يظاهر إتباعا على ابتداع ، و أنجح المحاورات و أفنعها و أعودها بالخير على الأدب و الشعر و ابعدها أثرها في تربية الحس و التذوق تلك المحاورات بين جيلين : الملتفت الى الوراء ، و الجيل المتجه الى الأمام ، كأنهما بإختلاف وجهتي النظر يصران على افتراق الأذواق أما العامل الأخير هو عقد الندوات المفتوحة و إدارتها حول ديوان أو قصيدة ، و إشراك أصحاب الأذواق المتباينة في مناقشتها على ملأ، و

الاجابة بعد المناقشة عن أسئلة الحاضرين من شداة ومتمدرسين ، وبهذه الندوات التي يتاح فيها لكل إنسان تر على المواهب و ينشؤون على حرية غير المتفلتة في التفكير ، و الجرأة غير الوقحة في التعبير ، وبعد....[1]

و في الأخير يتولد حكم أصدق من حكمي وحكمك ، يفعل التذوق الشعري فيرقى الشعر عبر التجربة الشعرية ، ويشحذ التذوق بالاحتكاك.

[1] -التذوق الشعري بقلم الدكتور غازي مختار طليمات 2002، www.albayan.ae

تمهيد:

يعد موضوع التصوف من الموضوعات التي إحتلت مكانة كبيرة و متميزة في التاريخ الاسلامي و شغلت جزءا مهما من تراث المسلمين و ثقافتهم إذ جظي باهتمام الباحثين و الدارسين على اختلاف مشاريعهم و توجيهاتهم ، فهنالك من ولج هذا الموضوع في الاطلاع عليه و زيادة في معارفه و ثقافته حوله و هناك من غاص فيه طامحا في كشف أسرار المعتقدين به . وكمعا في تبوؤ مكانة منهم ، وهناك من سعى لدحض مزاعم رواده و إبطالها ، و إماطة اللثام عن الوجه الأخر لهذا العلم .

1/ تعريف التصوف

أ/ لغة :

جاء من لسان العرب لإبن منظور " صوق " للضأن و ما أشبعه ، الجوهري : الصوف للشاة ، والصوفة أخص منه ، إبن سيدة : الصوف للغنم كالشعر للمعز و الوبر للابل.[1]

والجمع أصواف ، وقد يقال الصوف المواحدة على تسمية الطائفة باسم الجميع ، حكاه سيويه ،وقوله :

حلبانة ركبانة صفوف تخلط بين وبر و صوف .

كما ورد في " المعجم الوسيط " : صاف الكبش – صوف : ظهر عليه الصوف فهو صائف ، كثر صوفه ، فهو أصوف وهي صوفاء .[2]

وذكر "البستاني" في معجمه " البستان " صوف الكبش ، يصوف ، صوفا كثر صوفه ، صوفه تصويفا جعله صوفيا و الكرم بدت نواميه بعد الصرام

أضاف الله عني شر فلان إضافة أمله".[3]

وعند " جبران مسعود" : صوف : يصوف : صوفا الحيوان : كثر صوفه صوفٌ تصويفاً.

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ص، و ، ف) ، ط1، دار صادر ، لبنان ، ص 307
[2] -ابراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، ج1، د ط ، د ت ، دار الكتبة الاسلامية ، تركيا ، ص 529
[3] -عبد الله البستاني ، البستان ، م1 ، ط1، 1996 ، مكتبة لبنان ، ص 625

هـ: جعله صوفياً

النبات ظهر عليه شيء يشبه الصوف.

ورد تعريف التصوف في قاموس تاج العروس للزبيدي قائلا " تصوف ، يتصوف ، تصوفا ، فهو متصوف ، وهو من الصوف ، وقيل أيضا صوف ، يصوف ، مصدر صوف ، صوف : الحيوان ، كثر صوفه ، وكذلك صوف ، يصوف ، تصويفا فهو مصوف ، و المفعول مصوف ، ومنه صوف الخروف ، ظهر عليه الصوف وصوف الحيوان ، كثر صوفه وصوف النبات أو الكرمُ : ظهر عليه ما شيشبه الصوف ، و صوف الرجل جعله من الصوفية.[1]

وقال الجوهري في الصحاح . " الصوف للشاة و في الأساس . فلان يلبس الصوف و القطن . أي ما يعمل منهما ، و من المجاز قولهم : " أخذت بصوف رقبته وبصافها"

وصاف الكبش بعدما زمر يصوف صوفا بالفتح وصوفا ، كقعود فهو صاف "

وصاف و أصوف ، وصائف ، وصوف ، كفرح ، فهو صوف ، ويضيف : وصاف عني وجهه : مال.[2]

وقال ابن فارس مقاييس اللغة :" صاف من باب الابدال من صاف ، وقال أبو الهيثم : كبش صوفان ، ونعجة صوفانة ، و قال غيره :الصوفان كل من ولي شيئا من عسل البيت ،

[1] -تاج العروس من جواهر القاموس – الزبيدي ، المجلد التاسع 18/17 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007م ، 1428،ص24
[2] - الصحاح ، الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار الجزء ال 3 ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، ط 4 ، 1990 ،ص 210

وكذلك الصوفة ، وفي الأساس ، وال صوفان : كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون ، ولعل الصوفية نسبت إليهم ".[1]

تشبها بهم في التنسك و التعبد أو الى أهل الصفة فيقال مكان الصفية : الصوفية بقلب إحدى الفائيين و تصوف ، تنسك أو إدعاه ، وحبه ، صيفه ، كليسة ، كثيرة الصوف ، و أصله صيوفة ، فقلبت الواو باءا ، فأدغمت.

و كثرت الأقوال أيضا في إشتقاق كلمة التصوف نذكر منها :

أولها : قول من قال : الصوفة لانه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له "

ثانيها : أنه من صوفه القاها للينها ، فالصوفي هين لين لهي.

ثالثها : أنه من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحامد ة ترك الأوصاف المذمومة .

رابيعها : أنه من الصفاء و صحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله :

تنازع الناس في الصوفي و اختلفوا * * * جهلا و ظنوه مشتقا من الصوف

ولست أخل هذا الاسم غير فتى * * * صافي فهو في حتى سمي الصوفي .

و أخيرا فامسها : أنه منقول من الفة لأن صاحبه تابع لاهلها فيما أنيث الله تعالى لهم من الصوف حيث قال : " و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه

[1] - معجم مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس ، المحقق عبد السلام محمد هارون الجزء 3 ، دار الفكر ، مصصر ، ط 2 ، 1989 م ، ص 213

و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطا " **(الكهف : 28)**

وهذا هو الأصل الذي يرجع اليه كل قول فيه و الله أعلم .[1]

ب / إصطلاحا :

أما المعنى الاصطلاحي فيبرز في أن التصوف : هو تصفية القلب عن موافقة البرتة و مفارقة الأخلاق الطبيعية ، و إخماد صفات البشرية ، و مجانية الدعاوي النفسانية ، و منازله الصفات الروحانية و التعلق بعلوم الحقيقة ، و استعمال ماهو اولى على السر مدية ، و النصح لجميع الأمة ، و الوفاء لله تعالى على الدقيقة و اتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم في الشريعة ، و قيل ترك الاختيار .

وقيل: بذل المجهود ، والانس بالمعبود ، وقيل أيضا : حفظ حواسك من مراعاة انذاك ، وقيل كذلك : الاعراض عن الغعتراض ، وقيل : الأحد بالحقائق والكلام بادقائق ، و الاياس مما في أيدي الخلائق.[2]

ويعرف الشيخ أحمد زروق رحمه الله ، التصوف قائلا : التصوف علم قصد لاصلاح القلوب و أفرادها لله تعالى عما سواه ، و الفقه لاصلاح العمل ، وحفظ النظام ".[3]

[1] - تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي – المرجع نفسه -
[2] - كتاب التعريفات علي الجرجاني ، تحقيق نصر الدين تونسي ، شركة القدس – القاهرة- ط1 ، 2007 ، ص 103،104
[3] - حقائق عن التصوف ، الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله * التصوف كله أخلاق ، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف ، دار العرفان ، حلب /سوريا، ط 11 ، 2000م ،9/8

وظهور الحكمة بالأحكام و الأصول " علم التوحيد " لتحقيق المقدمات بالبراهين " وتحليه الايمان بالايقان، كالطلب لحفظ الأبدان ، كانحو لاصلاح اللسان الى غير ذلك ".[1]

ويقول أيضا الامام الحبنيد رحمه الله :

التصوف استعمال كل خلق سيئ و ترك كل خلق ديني .[2]

ويقول أبو الحسن الشاذلي رحمه الله :

" التصوف تدريب النفس على العبودية و ردها للأحكام التربوية ".[3]

قال صاحب " كشف الظنون" حاجي خليفة :

" هو علم يعرف به كيفية ترقي أخل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم "

وعلى العموم يمكن أن نرجع معنى التصوف إلى حقيقة واحدة هي صدق التوجه إلى الله ، هذا ما ذكره أبا نعيم في قوله : " وقيل التصوف و كذا ..... فأشعر أن من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف ، و إن تصوف كل أحد صدق توجهه وهو ما ورد عند السلمي في طبقاته و القشيري في رسالته أثناء ترجمتها لرجال التصوف".

يعد " التصوف" من أكثر المصطلحات يغشاها اللبس و الغموض ، إذ أن تحديد مفهوم واضح و دقيق له ، ليس بالأمر الهين ، ومن قال بأن هناك مفهوما واحدا للتصوف ، فقد

[1] - حقائق عن التصوف ، عبد القادر عيسى رحمه الله ، ص 8
[2] -المرجع نفسه ، ص 8
[3] -المرجع نفسه ، ص 9

ضيق واسعا وعليه تضاربت الأقوال و اختلفت الأراء ، فهناك من يرى " الصوفية" الصفاء أسرارهم ، ونقاء أثارهم ، يقول " بشر بن الحارث" : الصوفي من صفت الله معاملته ، فصفت لله عز وجل كرامته."[1]

أي أن الصوفي في منظور " بشر بن الحارث" هو من نقى قلبه و صفت سريرته ، فهي كرامة يؤتيها الله عز وجل لمن يشاء من عباده فيصلح بها باطنهم ، وتصفو بها مع الله معاملتهم.

أما " أبو بكر الشبلي" فيرى أن التصوف هو : الجلوس مع الله بلا هم ..... و الصوفي هو الذي ينقطع عن الخلق فيتصل بالحق ".[2]

أي أن الصوفي في نظره هو المعتزل للناس المنقطع الى الله بالدعاء و العبادة ، فينشرح صدره و ينكشف همه وهو مع الحق سبحانه و تعالى : و هي خلوة يفنى فيها الخلق ولا يبقى سوى الحق.

أما " إبن الجوزي" فيرى التصوف طريقة كان إبتداؤها الزهد الكلي ، ثم ترخص المنتمون إليها في السماع و الرقص فمال إليهم طلاب الاخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة و اللعب". [3]

[1] -إحسان إلهي ظهير ، التصوف ، المنشأة – المصادر ، ط1، 2008م ، دار ابن حزم القاهرة، ص36
[2] -علاء بكر ، مختصر تاريخ التصوف ، ط 1 ، 2012 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ص 23
[3] - ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ط1، 2011 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ص 153

فالتصوف – عنده – كان في البداية مذهب الزاهدين المتعبدين ، الذين ترفعوا عن ملذات الدنيا وزخرفها ، لكنه سرعان ما إنحط و انتقل في كونه عبادة الى مجالس لهو و مجون تجلب عوام الناس من طلاب الدنيا ، و هم الذين لا يعرفون لا بعلم ولا بصيرة ، حيث إغتروا بها لما ألبسها مريدوها من لباس الزهد و العبادة .

2/ مفهوم الصوفية :

أ/ لغة :

تعددت معاني لفظة الصوفية من جهة الاشتقاق المتنوعة ، و لعل هذه الاشتقاقات المتنوعة يتصل بلبس الصوف ، و الذي هو علامة على الفقر ، او الزهد في الحياة ، و متاعها الزائف ، و هناك اشتقاق ثاني يربط لفظ التصوف في اللغة باصفاء ، أي الطهارة الروحية و هناك معنى ثالث للصوفية يرجعه البعض إلى اللفظ الاغريقي الأصل وهو سوفيا ، و يعني الحكمة.[1]

لقد وردت مفاهيم عديدة و اختلفت الأراء في المعنى الذي يخص لفظة الصوفية أبرزها :

[1] - عبد الحميد هيمة الخطاب الصوفي و اليات التأويل دار ابن بطوطة للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2007 ، ص 15

" أنهم منسوبون الى الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم إليه واقبالهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه ، لكن هذه النسبة لا تستقيم من جهة اللغة إذ لو كانوا كذلك لقالوا صفى".[1]

ب/ إصطلاحا :

إن إسم صوفية لفظة قديمة انتشرت في عصر الاشلام إبان القرن الثالث هجري الموافق للثامن ميلادي وقيل أنه أطلق أول الأمر على " جابر بن حيان "[2]

" حيث أنه ظهر كنزعات فردية تدعو إلى الزهد ، وشدة العبادة ، ثم تطور فيها بعد ليصبح توجها فكريا ، يتوخى تربية النفس و السمو بها بغية الوصول إلى المعرفة الإلهية عن طريق إتباع معالم الدين الحنيف و الشريعة الاسلامية ".[3]

وقال أبو حمزة البغدادي : " علامة الصوفية الصادقة ، أن يفتقر بعد الغنى ، يزل بعد العز ، ويفضي بعد الشهرة".[4]

ويفهم من قول البغدادي : أنه ربط التصوف بازهد في الحياة الدنيا ، و التخلص من ماديتها ومغرياتها ، كالمال و الغنى و الشهرة . وهذا جانب من الجوانب العظيمة للدين الحنيف فهو إخلاص ، وزهد و أخلاق ، ومجاهدة ، وترك التكلف.

[1] - صادق بن سليم صادق المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا و نقدا ، ط1 ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1995 ، ص 27
[2] - ينظر محمد علي أبو ريان ، الحركة الصوفية في الاسلام ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية مصر 2007، ص 15
[3] -علجية مودع ، النص الصوفي و فضاءات التأويل ، قراءة في تجربة ابن فارض الصوفية من خلال قصيدة التائية مخطوط لنيل الماجستير ، صالح مفقود قسم الأداب و اللغة العربية ، جامعة محمد خضير بسكرة 2010 ، ص 34
[4] - صادق ابن سليم صادق المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا و نقدا ، ص 36

التجربة الصوفية :

ليست مجرد تجربة في النظلر ، و إنما هي أيض تجربة في الكتابة و نظرة أفصح عنها الصوفي بالشعر ، وبلغة البحث النظري و الشرح .

أولا :

أي الصوفي ، أن الكتابة في التجربة الشعرية الصوفية هي الوسيلة الأولى للافصاح عن أسراره ، ورأى في اللغة الشعرية الوسيلة الأولى للمعرفة .

ثانيا : استخدام الصوفيون فن الكلام في التعبير عن الله و الوجود و الانسان ، شكلا و أسلوبا و وظفوا الرمز و المجاز و الاستعارة والصورة ، بهدف جلب القارئ الى تذوق تجربة شعرية غنية بأرقى الصور الفنية .

نعني هنا أن اللغة الصوفية هي لغة شعرية ، و أن شعرية هذه اللغة ، تتمثل في أن كل شيئ فيها يبدو رمزا وكل شيئ هو ذاته و شيئ أخر فالحبيبة مثلا هي الوردة أو الحمرة أو الله ..... و إنها صورة الكون و تجلياته ، و الأشياء في الرؤيا الصوفية ، متماهية و متباينة و مختلفة ، وهي في ذلك تتناقض مع اللغة الدينية الشرعية ، حيث الشيئ ، هو ذاته لا غير.

وبواسطتها صنع الصوفي عالما داخل عالم يحسبه مزيف ، عالم يحي فيه الصوفي حين يفنى ، تتموج فيه الأفكار و الكشوفات ، وتفنى فيه حواضر و تلتهب فيه عوالم جديدة و تتعانق فيه الأزمنة و المتناقضات

بينما ترى اللغة الصوفية على أنها تجليات المطلق ، و تجليات ما لا يقال و لا يوصف " فما لا ينتهي في نظر الصوفي ، لا يعبر عنه إلا بما لا ينتهي ". [1]

توجد كتابات كثيرة حول مصطلح " التجربة الصوفية" عد تلك ، المؤلفات التي تخصصت في الفكر الصوفي ولغته ، نذكر على سبيل التمثيل كتاب و ليم جيمس تنوع التجربة الدينية.[2] **The Varieties Of Religious Experience**

الذي حاول مؤلفه تكوين صياغة جديدة لعناصر التجربة الروحية ، باعتبارها معاناة فردية تتجلى في الأحوال و الأذواق الوجدانية.

ثم إن هذه التجربة تعتمد على الذوق يختلف من شخص الى اخر ، ومن مجتمع لاخر فحسب الثقافات و الايديولوجيات التي تحيط بها .

ومن المؤلفات العربية التي نظنها رائدة في مجال كتاب : دراسة في التجلربة الصوفية للدكتورة نهاد خياطة ، حيث تختنزل هذه الباحثة معنى التجربة الصوفية بقولها : " إذا قالالصوفي : لا أرى شيئا غير الله ، فهو في حال وحدة شهود و إذا قال : لا أرى شيئا إلا

[1] - د.محمد زياني ، فلسفة اللامعقول في الخطاب الصوفي ، (ابن عربي نموذجا) 2017، ص 74/73
[2] -د. حاكمي لخضر ، التجربة الشعرية الصوفية ، تأليف : لخضر حاكمي ، ط 1 ، 2019 ، ص 9 ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع

و أرى الله فيه ، فهو في حال وحدة وجود وهذا أوجز تبسيط ممكن لهذين الاصطلاحين اللذين يختران التجربة الصوفية في كل أبعادها.[1]

[1] -د. نهاد خياطة ، دراسة في التجربة الصوفية ، دار المعرفة : دمشق – سوريا ، ط 1 ، 1994م ، ص 5

نشأة التصوف : التجربة الصوفية

تبدأ الإرهاصات الأولى للتصوف بعد ظهور الاسلام و تجلي ذلك بوضوح بعد عهد الصحابة و التابعين و ذلك الأسباب و يظهر ذلك في قول الدكتور أحمد علوش ، إذ يقول : " قد يتسائل الكثيرون عن السبب في عدم انتشار الدعوة الى التصوف في جذور الاسلام ، عدم ظهور الدعوة إلا بعد عصر الصحابة و التابعين ، و الجوانب عن هذا ، أنه لم تكن من حاجة إليها في العصر الأول ، لأن أهل هذا العصر كانوا أهل تقوى ، و أرباب مجاهدة ، فلم يكن ما يدعوا الى تلقينهم علم يرشدهم الى أمرهم قائمون به فعلا.

وهذا الرأي أقرب بكثير الى الواقع لأن الصحابة و التابعين كانوا على دينهم و قلوبهم عامرة منفتحة على الاسلام.[1]

ويوضح الدكتور علوش أيضا سبب ظهور التصوف وهو دخول أمم شتى و أجناس عديدة في حظيرة الاسلام ، و اتساع دائرة العلوم ، و انقسامها و توزعها بين أرباب الاختصاص حيث قام كل فريق بتدوين العلم الذي يجبده أكثر من غيره ، فنشأت عدة علوم ، مما أدى الى تضاءل التأثير الروحي شيئا فشيئا ، فأخذ الناس يتناسون ضرورة الاقبال على الله بالعبودية ، مما أدى بأرباب الزهد الى أن يعلموا من ناحيتهم الى تدوين علم التصوف و اثبات شرفه و فضله على سائر العلوم ، وذلك لاستكمال حاجيات الدين في جميع نواحي

[1] - حقائق عن التصوف ، الشيخ عبد القادر عيسى ، ص 11

النشاط ، مما أدى الى حصول التعاون على تمهيد أسباب البر و التقوى ، وبنى أئمة الصوفية الأولون ، أصول طريقتهم على ما شب في تاريخ الإسلام.

أما عن تاريخ التجربة الصوفية فيظهر في فتوى الامام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله ، فقد سئل عن أول من أسس التصوف ؟ وهل هو بوحي سماوي فأجاب : " وأما أول أسس الطريقة ، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي ، إذ هي مقام الاحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه و سلم بعدما بينها واحدا واحدا دينا بقوله : " هذا جبريل عليه السلام اتاكم يعلمكم دينكم"[1]

فالاسلام طاعة و عبادة، والايمان نور و عقيدة ، و الاحسان مقام مراقبة و مشاهدة أي " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك".[2]

وقد تحدث ابن خلدون عن النشأة الصوفية ، فقال :" وهذا العلم من العلوم الشريعةالحاثة في الملة ، أصله أن طريقة هؤولاء القوم لم تزل عن سلف الأمة و كبارها من الصحابة و التابعين و من بعدهم طريقة الحق و الهداية و أصلها العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى ، والأعراض عن زخرفة الدنيا و زينتها ، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور لذة

[1] - المصدر نفسه ، ص 13

[2] - صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري ، الجعقبي ، تحقيق د، مصطفى ديب البغا 7 أجزاء ، دار بن كثير ، بيروت ، ط 1414ه د/ط ، ص 28

ومال و جاه ، والانفراد على الخلق ، والخلوة للعبادة ، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا ، وإختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية.[1]

ومن هذه النصوص السابقة ، يتبين لنا أن التصوف أو الصوفية ليست أمرا مستحدثا جديدا ، ولكنها مأخوذة من سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم وحياة أصحابه الكرام.

[1] - مقدمة ابن خلدون- عبد الرحمن ابن خلدون ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000، ص 356 . 357

خصائص التصوف :

يحتوى التصوف على عدة خصائص ، وذلك من منطلق أنه تجربة روحانية لا يشعر بها إلا المتصوف القح ، حيث بينها الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح في كتابه " دراسات في الفكر العربي الإسلامي " وهي عدة نقاط:

أولا: أنها تجربة وجدانية خالصة ، وهي كثرة معرفة مباشرة مما لا يمكن الاطلاع عليها، أي نقلها إلى الأخرين في حين أمكن تعريف علوم الفقهاء وحدها ، لأنها علوم ورسوم تنال بالتعلم و الاكتساب ، وعلم التصوف مم لا يمكن حده ، لأنه إشارات و عطايا و هبات يعرفها أهلها من بحر العطايا التي لا ينتهي مدده ، فالتصوف هو حالة نفسية وموقف وجداني .

ثانيا : التجربة الصوفية ظاهرة دينية تتسم بالعالمية فلا تتقيد بحدود الزمان و المكان و الأجناس و اللغات و الأديان أو الدوائر الحضارية ، فلا وطن لها و لا تاريخ ميلاد.

ثالثا : فالتجربة الصوفية لا تتسم بالنسقية المنطقية ، كما هو الحال في المذاهب الفلسفية و الكلامية و الفقهية ، أي أن العبارات مهما دقت لا تنقل المضمون الحقيقي لهذه التجربة الوجدانية.[1]

[1] - دراسات في الفكر العربي الاسلامي *أبحاث في علم الكلام و التصوف و الاستشراق و الحركات الهدامة ، عرفان عبد الحميد فتاح ، دار الجبل ، بيروت ط1 ، 1991 ، ص 220

رابعا : تمتاز التجربة الصوفية بتجاوزها المصدري للمعرفة الانسانية ، الحواس و العقل و استدلالاته ، أي أن الحقيقة الصوفية لا يمكن الاشارة إليها بعبارات و حتى إيماءات رمزية غامضة أي أنها خبرة مخصوصة لا يمكن فهمها إلا من يتذوقها بذاته .

خامسا: تتسم التجربة الصوفية نسبة مركزية هي عدم قدرة صاحب التجربة الصوفية نقل مضامين تجربته إلى الاخرين ، و ذلك لأن التجربة الصوفية لا تستوعبها اللغة العادية.

فيظهر للتعبير عنها بلغة خصوصية تتسم بالسحرية و التمثيل و الرمزية و المجاز.

سادسا: التجربة الصوفية ليست مجرد تجربة متشكلة وهوية ثابتة تارة ، بل هي تجربة نامية ومتطورة تبعا لسلم المعراج ، الروحي الذي يكابده الصوفي.

سابعا : ان التجربة الصوفية تتجسد في أنماط متنوعة وصيغ متباينة ، وتتخذ صورا و تعبر عن نفسها في طرائق متعددة ، ذلك أن المتصوف تحاول عادة و في الغالب من الأحيان صياغة تجربته وفق الدائرة الحضارية و الثقافية و محددات الاطار العقدي العام للدين الذي ينتمي إليه و يؤمن بأصوله الايمانية.

ثامنا : تمتاز التجربة الصوفية أيضا في أنها تتمثل في حالة نفسية معينة و مخصوصة ، فيها إلحاء و قصر للتحول من حياة تقليدية و عرفوها بحالة التأزم الحادة ، و معناها أن الانسان تصيبه حالة نوبة تكون مصحوبة بعدم الراحة و ذهاب الثقة بالمعقولات و المحسوسات و اضطراب مزعج بالنفس ، تفقد معه اليقين و الطمأنينة وهذه الحالة تأتي في

صورة انتقال تدريجي و متراكم لا يكاد يدرك أو يكون محسوسا ، ومهما كانت هذه الحالة فهي محفزة للتحول في النفس.

ولهذه الخصائص أهمية كبيرة إذ بها تعرف التجربة الصوفية عن غيرها و المتصوف الحقيقي عن غيره.[1]

قواعد التصوف :

يبنى التصوف على خمس قواعد تتماشى و تعاليم الدين المسايرة للشريعة الاسلامية من حيث أحكامها الباطنة و نواهيسيها الخفية ، و تلك القواعد هي ::

أولا : صفاء النفس ومحاسبتها و تتمثل في أن كل من أراد أن يدخل في سلك المقربين يعد الجواب لسؤال الحق تعالى وذلك أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله تعالى و يزن أعماله ، أما القاعدة الثانية فهي : قصد وجه الله تعالى و معناه أن التصوف لابد أن يقصد وجه ربه في جميع أقواله و أفعاله غاسلا قلبه باخلاص لوجه الله تعالى أي يجب على المتصوف أن يكون ذات نية خالصة في أعماله و أقواله وأن يكون متخشعا في ذلك .

وبالنسبة للقاعدة الثالثة : فهي " التمسك بالفقر و الافتقار" أي الزهد في الدنيا و القناعة في متاعها حرمانا للنفس فإن التمسك بالفقير دليل التقشف الذي هو الألة القاطعة لحبل الوصال بين العبد و الشيطان فتتأهل النفس بالعبادة الخالصة و المناجاة الصادقة و عدم العلو و

[1] - المرجع نفسه ، ص 220

الفساد و هذا الرأي سلاح ذو حدين تمثل أولا : في الشق الايجابي و هوأن الفقر يؤدي بصاحبه الى العبادة و الاقتراب من الله تعالى ، اما الشق الثاني السلبي فيتمثل في أ، الفقر يحرم صاحبه من أبسط متطلبات الحياة.

والقاعدة الرابعة هي : توطين القلب على الرحمة و المحبة أي أنه يجب على كل صوفي أن يلزم قلبه محبة المسلمين و رحمتهم و يعطيهم حق الاسلام من التعظيم و التوقير.[1]

أي أن لابد من الانسان الصوفي أن يكون رحيما و رئيفا بالمسلمين لأن من يرحم يرحم.

أما خامسا و أخيرا : فهي التجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله النبي لتمامها و هي زبدة الدين ، و حقيقة أخلاق الصوفيين و معناها أن يكون العبد هينا ليينا مع أهل بيته و عشيرته و جميع المسلمين.[2]

صفات التصوف :

لقد تميز التصوف بعدة مميزات و صفات نذكر منها :

الاخلاص و طهارة القلب ، و كذا الخشوع لله ، إضافة الى الخشية من الله تعالى و حسن الخلق ، و أخيرا الزهد في الحياة ، و ذلك أن المتصوف لا يكون متصوفا قحاَ إلا إذا كان قلبه مملوءا و عامرا بالايمان إضافة الى الخشية من الله تعالى و الخوف من العقاب.

[1] - الأدب في التراث الصوفي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي – دار غريب للطباعة- لا ظو علي ، القاهرة ، د.ط / د/سنة ، ص 15.16
[2] - المرجع نفسه ، ص 16

أهمية التصوف :

للتصوف أهمية كبيرة و يمكن إجمالها في عدة نقاط تتمثل هذه الأخيرة فيما يلي :

أولا : صلاح الانسان لأن صلاحه مرتبط بصلاح قلبه الذي هو مصدر أعماله الظاهرة ، إذ يجب على الإنسان إصلاحه بتخليه عن الصفات المذمومة التي نهانا الله تعالى عنها و تحليه بالصفات الحسنة التي أمرنا بها الله الفائزين الناجين لقوله تعالى : " يوم لا ينفع مال ولا بنون " (88) إلا من أتى الله بقلب سليم(89) " سورة الشعراء

وكذا تنقية القلب و تهذيب النفس لان اساس الايمان هو القلب الصحيح .

ثانيا : تبرز أهمية التصوف في اختصاصه بمعالجة الأمراض القلبة و تزكية النفس و التخلص من صفاتها الناقصة ، و حيث أن الانسان عندما يتعلق قلبه بالتصوف وبعبادة ربه يخلو قلبه من الأمراض التي تضيق حياته مثل : الخيانة و الكذب و الكره .....[1]

ثالثا : تتمثل في إهتمامه بالعبادات البدنية و المالية و رسم الطريق العملي الذي يوصل المسلم الى أعلى درجات الكمال الايماني الخلقي ، إذن التصوف ينسب للانسان مستقبله و افاقه .

أما رابعا و أخيرا : فالتصوف أو الصوفية منهج عملي كامل ، يحقق انقلاب الانسان من شخصية منحرفة الى شخصية مسلمة متكاملة من الناحية الايمانية السلمية و العبادة

[1] -حقائق عن التصوف لسيدي الشيخ عبد القادر مرجع سابق الذكر ، ص 14-15

الخالصة و المعاملة الصحيحة الحسنة و الأخلاق الفاضلة ، بالاضافة أن التصوف هو روح الاسلام و قلبه النابض .[1]

- **التجربة الصوفية عند صلاح عبد الصبور :**

نظرته الصوفية :

من مظاهر الشعر العربي تروحه نحو التصوف " قد يكون ذلك ملاذاً يلوذ به الشاعر من أزمات اجتماعية و سياسية يعانيها ، وقد تكون بحثا عن عالم أكثر صفاء و نقاء ، عالم روحاني فيه تجليات وحدس تتلاشى فيه المادية و الغرائز السلبية واذا كان التصوف في مرحلة ما خرج عن السائد ، و فيه من الرفض و التضحية و انكار الذات ، و فيه من مقومات الحب ، فان الشعر الحديث كان منطلقا في بداياته نحو التعبير عن بعض ما تعبر عنه الصوفية ، و كانت الدعوة إليه أولا من خلال النظرة الى الفكرة و الايحاءات ، كما بدأ أنه يصبو الى الحق و الحقيقة و الجمال و الكمال .[2]

أي أن الشعر الحديث إتخذ من الصوفية غاية للتعبير حيث كانت أفكاره تحوم على أفكار صوفية .

- من هنا كانت التجربة الصوفية و الحداثة الشعرية تبحثان عن غايات مشتركة منها هذه الدعوة الى الفاء و الشفافية في القول ....الخ، ومن أبرز شعراء الصوفية شاعرنا

[1] -المرجع نفسه ، ص 16
[2] - الشعر و التصوف : منصور ابراهيم ، دار الأمين ، القاهرة ، د.ط ، 1999،ص 146

الكبير صلاح عبد الصبور ، إذ كانت له ثقافة صوفية برزت في بواكير أشعاره بدءا من ديوانه * الناس في بلادي* ثم تطورت ، وكانت ذروة ذلك أن أصدر مسرحية * مأساة الحلاج* وخلع على هذه الشخصية الصوفية – الحلاج – التزاما فجعل من الصوفية التي تعترف بأنها ضمن دوائر السكونية أي التي لا تشارك في قضايا المجتمع ، صوفية متحركة تتمرد على التقشف و الكتب و الجوع و الظلم .[1]

وبعبارة أخرى تقاوم الشر و هذه الصوفية التي أكثر عبد الصبور من تناولها ربما كانت نتيجة حتمية لتساؤلاته الكثيرة و تأملاته في زمنه *الجريح* أي أن صلاح عبد الصبور غير من مضمون الصوفية و جعلها تهتم أكثر بالواقع ابتدأ الشاعر عالمه الشعري وقد صاحبه الاشارات الصوفية ، فلا تكاد تجد قصيدة إلا وفيها إشاعات صوفية يتعلقتعليلها بالمتلقي و قراءته.

- **ملامح من شعه الصوفي :**
- **ديوان الناس في بلادي : منها**

بالأمس في نومي رأيت الشيخ

محي الدين

مجذوب حاريتي العجوز

[1] - المرجع نفسه ، ص 146

وكان في حياته يعاين الاله

تصوري و يجتلي سناه

وقال لي : .....ونسهر المساء

مسافرين في حديقة الصفاء...

ويعقد الوجد اللسان .....من يبح يضل.

هذه القصيدة من الشعر الحر و هي بعنوان " الناس في بلدي" ويروي فيها الشاعر قصة القروي مصطفى ليعبر عن مشاعر انسانية عالمية.

ابن عربي : التجربة الشعرية و النزعة الصوفية من خلال " ترجمان الأشواق "

المصطفى السعيدي

جامعة ويسترن كيب : كلية الآداب و العلوم الإنسانية / شعبة اللغات الأجنبية

University of The Western Cape / Cape Town

الملخص:

من خلال هذه الورقة ، سنعمل على مقاربة مضامين التجربة الشعرية الصوفية لابن عربي من خلال ديوانه المشهور " ترجمان الأشواق " باعتباره إبداعا تراجيديا أو كتابة فنية تراجيدية، ولعل هذا الديوان الشعري لا يعدو كونه شعرا غزليا نظم في فتاة ذات هوية متحيزة في مكان وزمان، كما يتبين من خلال سياقه وإطاره التاريخيين . واللافت للنظر أن هذه القصائد جاءت موغلة في التعلق بالطبيعة، و مفعمة بالرمزية الصوفية، مما أعطى للديوان بعدا تأويليا و فكريا يختلف عن مضامين شعر الغزل. كما أننا سنقف عند خصائص الشعر الصوفي و علاقته بالشعر العذري الذي شهده الشعر الجاهلي فنيا ووجدانيا. كما أننا من خلال هذه الورقة سنركز على النزعة الصوفية – لابن عربي– على اعتبار أنه أحد أهم أقطاب الفكر الصوفي داخل الحقل العربي الإسلامي، وبناء عليه سنسلط الضوء على فلسفة التصوف الإسلامي كحقيقة تاريخية ينبغي وضعها في إطارها الإجتماعي و الحضاري من خلال تجربة الرجل كمتصوف وكشاعر في آن واحد. حيث أننا سنتعرف على مذهبه الفلسفي الوجودي" وحدة الوجود" فأصبحت هذه النظرة لا تخلو من إشكال وغموض، مما

جعل ابن عربي عرضة للنقد من طرف الفقهاء المسلمين. سأحاول من خلال هذا العمل المتواضع دراسة المتن الشعري الصوفي (ترجمان الأشواق) انطلاقا من مقاربة لسانية أدبية تروم رصد الحقول المعجمية التي يزخر بها هذا الديوان ، فضلا عن معرفة الخصائص التركيبية والصرفية و الإيقاعية، و الوقوف على خصائص المفردات المحورية الدلالية، والنفاذ منها إلى بواطن المعاني الذي يتماشى مع مذهب المتصوفة. كلمات مفتاحية : تجربة شعرية – نزعة صوفية – رمزية المرأة – وحدة الوجود

المقدمة:

مما هو معروف في تاريخ التصوف الإسلامي أن له علاقة وطيدة بالأدب العربي نثرا و شعرا، ولذا فإن ابن عربي من خلال ديوانه الشعري " ترجمان الأشواق "حاول أن ينتج لنا نموذجا من نماذج الشعر الصوفي الذي يتسم بالنزعة البكائية و التراجيدية، فقد جعل هو الآخر من الشعر العربي مطية للتعبير عن أفكاره الصوفية و آرائه الوجودية، و بالتالي فإنه جعل من الشعر وسيلة للتعبير عن آلامه و أحاسيسه و معاناته، بتوظيفه للغة توظيفا محكما، مستعملا أساليب بيانية وبلاغية متعددة. كما أن الديوان جاء مفعما بأسلوب الرمزية و الإشارة، مما يضفي على الديوان طابع التعقيد و الغموض، ولعل هذه هي السمة التي غلبت على الشعر الصوفي برمته. فشعر ابن عربي كما يقول حسين مروة: " ينهل من واد واحد هو وادي التصوف الذي لزمه طول حياته وعاش على ذلك جوه العلمي و النظري "[1] . ويعتبر ابن عربي وآخرون من المتصوفة أن اللغة عاجزة في حد ذاتها، عن عدم تأدية أمانتها في توصيل المعنى من جهة ، وعن التعبير من جهة أخرى، إذ لا يصلح الكلام الشائع لحمل ثقل وزخم العرفان ، ولا للترجمة عن التجربة الروحية، والعواطف الفردية".[2] و لعل هذا ما يتم التعرف عليه و الوقوف عنده خلال هذا الدراسة المتواضعة. و الجدير بالذكر أن هذا الديوان الشعري ظهر في وقت أصبح فيه زخرف القول ظاهرة أساسية في الكتابة العربية نثرا و شعرا، مما جعل أدب هذه المرحلة ينعت بالتديني و الانحدار

[1] - حسين مروة : " النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية "ص 181، ج 2، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان
[2] - على زيعور : " الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم - القطاع اللاواعي في الذات العربية (التحليل النفسي للذات العربية) ص : 231، ط: 1، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، لبنان / 1977م

والانحطاط."وبالطبع أدى ذلك إلى ازدياد التعقيد في المباني و المعاني التي كانت تستخدم كوسائل للتعبير . وهذه الظاهرة الأدبية في حدذاتها، كانت عامل إثراء للكتابة الصوفية التي كانت تميل في أغلب الأحيان إلى الإضمار والإبطان بدل الكشف و الإعلان " .[1]

أهمية الدراسة :

لعل ما يلفت النظر في هذه الدراسة هو صعوبة تعريف التصوف، و تحديد مضامينه و أغراضه، خاصة وأن تحارب المتصوفة أنفسهم تختلف باختلاف تجارجم. لذا فإن رغبتنا من التجربة الصوفية ليست هي التصوف في حد ذاته ، وإنما رغبتنا تتمثل في وضع التصوف في إطاره التاريخي ، من خلال تجربة ابن عربي كمفكر متصوف ، وكشاعر وأديب، للوقوف على هذه التجربة لنحدد مكانتها وقيمتها الفكرية والجمالية من خلال عوامل التأثير والتأثر التي شهدها الشعر الصوفي.، خاصة وأن الرجل يطرح مسألة الفناء، و يؤكد على أن النزعة البكائية وحالة الألم والمعاناة، هما من يجعل الإنسان يفكر في طرح أسئلة عن سبب البكاء و الألم و الحزن والانفصام، و عن كيفية الخروج من هذه الحالة التراجيدية إلى حالة الفرج و الاطمئنان . و بالفعل فإن ابن عربي وظف "شعر الغزل" كوسيلة للتعبير عن أفكاره و توجهاته الصوفية و آرائه الوجودية، و قد احتلت هذه الآراء مساحة مهمة من الديوان، مما يضفي عليه طابعا جماليا و فنيا يعتمد على " الكلمة الجميلة الموسيقية المعبرة الموحية التي

[1] - وسيم عدنان العطار : " ظاهرة التحول في النص والدلالة في ترجمان الأشواق " ص: 13، رسالة ماجستير كلية العلوم والآداب – الجامعة الأمريكية - بيروت، لبنان سنة 2004م

تلمس العاطفة و الأذن والقلب و لا تصدمها جميعا، و يأتيه الجمال من أنه يوحي ولا يصرح".[1]

إشكالية أو أسئلة الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في كون أن ابن عربي استطاع من خلال أشعار ديوانه "ترجمان الأشواق "ذي الطبيعة الشعرية الغزلية الحسية، أن ينتقل بدلالة هذا المتن من المعنى الظاهري ، إلى معنى آخر باطني ، ذي طبيعة نثرية من خلال شرحه " الذخائر و الأعلاق "ليجسد من خلاله الحب الإلهي، و ينفتح على عالمه الفكري. وبما أن شعر الرجل هو الذي يهمنا في هذا المضمار بالدراسة و التحليل ، فإنه يتوجب علينا معرفة محتوى هذا الديوان وخصوصياته الفكرية والجمالية و الإبداعية . من هنا يتوجب علينا طرح هذه الأسئلة :

1. ما هي القيمة الفنية و الأدبية التي تنطوي عليها أشعار ديوان " ترجمان الأشواق "؟

2. كيف استطاع ابن عربي أن يستغل رمزية المرأة في شعره الغزلي ليبني عليها بنيانه الفكري ؟

3.إلى أي حد استفاد ابن عربي من توظيف الأساليب البلاغية العربية من مثل الإضمار والإخفاء و الإيحاء والرمز، فضلا عن توظيف المعجم في طرح أفكاره الصوفية؟

[1] - عبد الكريم غلاب – دفاع عن فن القوبل – ص : 40، دار الفكر المغربي – الرباط – المغرب ، سنة 1972م

أهداف الدراسة:

تتوخى هذه الدراسة التحليلية للمتون الشعرية لابن عربي أن تقف على ما تزخر به هذه التجربة الشعرية الصوفية من قيم فنية شعرية، و بلاغية و أدبية ، بالإضافة إلى ذلك ما تتميز به هذه الأشعار من قيم فكرية تعكس إيديلوجية الباث أو الشاعر باعتباره واضع النص الشعري.

حدود الدراسة:

لقد انصب اهتمامنا في هذه الدراسة على الجانب الشعري و الأدبي لابن عربي ، دون إغفال الجانب الفكري الذي ما فتئ يروج له من خلال قصائد و مقطوعات ديوانه، الذي نظمه على شكل بحور الشعر العربي الكلاسيكي ، وقد تم اختيار قصيدتين من الديوان المقاربتهما لغويا و أدبي.

منهجية الدراسة:

إن الدواعي المنهجية لهذه الدراسة تقتضي منا أن نقف على المناهج المناسبة للاستعانة بما في إكما و إنجاز هذه الدراسة ، إذ أنه إلى جانب المنهج التحليلي الوصفي الذي من خلاله نحلل آليات النص و محتوياته، و لعل هذه المقاربة التحليلية الحديثة تجعل من النص أن يكون "مشاهدة بدل أن يكون شاهدا، فالنص المشاهد يجعل القارئ ينطق ما بين يديه، بدلا من أن ينساق إلى ما يمليه عليه النص لأول وهلة. فيظل محصورا في دائرة الفهم ، و في أحسن الأحوال في دائرة التحليل السطحي [1]، دون أن يتخطاها إلى دائرة التأويل. هذا فضلا عن المنهج التاريخي الذي من خلاله نضع أشعار ابن عربي في إطارها التارخي، علاوة على ذلك فإننا سندعم منهجيتنا بمقاربة لغوية و أدبية تكون كفيلة بإبراز المقومات الشعرية و الفنية التي يزخر بها هذا المتن الشعري، و من هذا المنطلق فإننا سنركز في دراستنا هذه على التجربة الصوفية من خلال تجربة ابن عربي لنعرف مكانتها و قيمتها الفكرية و الجمالية، فالفنون التعبيرية جميعها وفي مقدمتها الشعر تتصل بالإحساس والذوق و الجمال و العاطفة و الفكر جميعا."[2]

[1] ـ نورالدين ناس الفقيه – أحمد بن عجيبة شاعر التصوف. ص: "5 " رسالة دكتوراة ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الأداب ، 2005م / 1426ه.

[2] ـ عبد الكريم غلاب : دفاع عن فن القول "ص: 08، دار الفكر المغربي ـ الرباط ـ المغرب ، سنة 1972م

ابن عربي مساهمته الشعرية و قيمته الأدبية:

في هذا المستوى نحاول أن نرصد بعض المقطوعات الشعرية المقتطفة من ديوانه " ترجمان الأشواق"، حيث سنقف على مقاربة تحليلية لهذه القصائد الشعرية، لنتعرف عن خصائصها الشعرية و الأدبية ، فابن عربي كشاعر متصوف أندلسي ظهر في وقت نعث فيه الشعر العربي بالتديني و التقهقر و الانحطاط، هذا فضلا على أن معظم النقاد العرب نعثوا الأدب الأندلسي و المغربي بأنه أدب يتسم بالفقهية و التقريرية، و أنه تكرار و اجترار للأدب المشرقي ، كما وصفوه بالتقليد و الاتباع، و لعل هذا الأمر فنده بعض النقاد و الدارسين لهذا الأدب ، حيث جاء على لسان إحسان عباس: " إن اشتراك البيئتين المشرقية و الأندلسية في المتكأ الحضاري سيجعل صور التشابه ولا بد أوضح تحت عيون الباحثين صور التخالف والافتراق ، تلك حقيقة يجب أن نعيها تمام الوعي"[1]، حيث أننا لا ننكر على وجه الإطلاق بأن الأندلسيين فعلا عمدوا إلى تقليد المشارقة، و كتبوا في نفس موضوعاتهم سواء الشعرية منها أو النثرية، بل عارضوهم في كثير من الأحوال و الأغراض، و يمكننا أن نشير في هذا الصدد على سبيل المثال لا الحصر لابن شهيد الأندلسي الذي عارض بعض شعراء المشرق ، كما أن ابن عربي نفسه تأثر بابن الفارض ، لكن هذا لا يمنع من القول أن هذا الأدب له مقوماته و خصوصياته الذاتية ، و لعل هذا ما ذهب إليه بالقول مصطفى الشكعة على حد تعبيره: "هو أدب قومنا أبدعوه و زينوه ، و جملوه زخرفوه ، و أفاضوا عليه

[1] - أحسان عباس : " تاريخ الأدب الأندلسي " ص: 129، (مصدر سابق)

من ترف البيئة و رونقها و سكبوه أنغاما ساحرة الإيقاع في أسماع الزمان ، فذهبوا و بقي ، و ضاعت الأرض و خلد هو برهانا على فن مزدهرة.[1] فابن عربي نشأ في كنف هذه البيئة الأندلسية، و التي كان لها الأثر الكبير، في تغيير مجرى حياته، و جعلته يتحول تحولا جذريا إلى الفلسفة والتصوف ليصبح بعد ذلك من أبرز الفلاسفة المسلمين المتصوفين " [2].

من هنا يمكن القول أن لكل زمان رجاله و أعلامه و فحوله، و أن كل بيئة تنتج نوعا أدبيا و فنيا يعير أصدق تعبير عن تلك البيئة التي نما و ترعرع فيها ذلك الإنسان المبدع ، سواء أكان شاعرا أديبا أو مفكرا كما هو الحال بالنسبة لابن عربي ، هذا الرجل ولا شك ترك بصماته الإبداعية و الفكرية في سجل تاريخ الفكر و الأدب العربيين . فالكتابة كعملية إبداعية سواء في مجال الشعر أو النثر ليست وسيلة للتعبير فقط عما يختلج في نفس الذات الكاتبة و المبدعة. بل هي تعبير أيضا عن قضايا موجودة في الواقع المعيش من مظاهر طبيعية تشترك فيها سائر المخلوقات، " لذلك نقول بوجود بعد أنطلوجي للكتابة لأنه من خلالها يقوم الإنسان بمساءلة ذاته و علاقاته بالعالم و بالآخرين، من هذا المنطلق يمكننا القول أن الكتابة ليست سلوكا أخلاقيا مجردا ، ولكنها سلوك مدفوع بهاجس إبداعي عميق يخترق التجربة الصوفية بكاملها باعتبارها تجربة تجمع بين فعل الحياة و فعل الكتابة ، وبعبارة أخرى بين السلوك والإبداع "[3]، فالكتابة الصوفية تتشكل من بعدين : سيكلوجي يعبر

---

[1] - مصطفى الشكعة " الأدب الأندلسي ، موضوعاته و فنونه ، ص : 92، دار العلم للملايين ، الطبعة 5، بيروت ، سنة 1983م.

[2] - د محي الدين بن عربي كتاب التراجم " ص : 7-18، حققه وقدم له : عبد الرحيم مارديني ، دار المحبة دمشق / دار أية بيروت 20-02-2003م ط : 1.

[3] - عبد الحق منصف : الكتابة والتجربة الصوفية – نموذج محيي الدين بن عربي ص: 3-4 ، ط : 1، منشورات عكاظ

عما يخالج النفس الكاتبة ، و بعد انطلوجي يصف الوجود ، إذن نخلص إلى أن التجربة الصوفية بين فعل الصوفي أو الحياة العامة، و فعل الكتابة المتمثلة في إبداع المبدعين من المتصوفة كتابة إن نثرا أو شعرا، سيما وأن الكتابات الصوفية تختلف من صوفي الآخر ، ومن هنا لا بد من الحديث عن اختلاف أقوال المتصوفة أنفسهم، ذلك أن كل واحد منهم يتكلم من حيث وقته، ويجيب من حيث وجده"[1]. حيث يستطيع الكاتب أن ينقل لنا الفكرة والصورة و النموذج و العبرة من كلمات مصبوبة في قالب قصيدة أو رواية أو قصة أو في أي نوع من أنواع الكتابة الأدبية إلى قارئ مفترض. لذا فإن ابن عربي يصرح أنه كتب ديوانه " ترجمان الأشواق " لتصوير الحب في أشعاره ، كما عمد إلى وصف المرأة و التغزل فيها إلا أنه من خلال شرحه للديوان يحيلنا إلى دلالة سميائية مفادها العشق الإلهي ، وذلك من ما ذهب إليه بالقول مصطفى الشكعة على حد تعبيره: "هو أدب قومنا أبدعوه و زينوه ، و جملوه و زخرفوه ، و أفاضوا عليه من ترف البيئة و رونقها و سكبوه أنغاما ساحرة الإيقاع في أسماع الزمان ، فذهبوا و بقي ، و ضاعت الأرض و خلد هو برهانا على فن مزدهر "[2]. فابن عربي نشأ في كنف هذه البئة الأندلسية، و التي كان لها الأثر الكبير، في تغيير مجرى حياته، و جعلته يتحول تحولا جدريا إلى الفلسفة والتصوف ليصبح بعد ذلك من أبرز الفلاسفة المسلمين المتصوفين "[3]. من هنا يمكن القول أن لكل زمان رجاله و أعلامه و

---

[1] - عبد الرحمان بدوي : تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ، ص: 61،وكالة المطبوعات الكويت الطبعة 1، سنة 1975م

[2] - مصطفى الشكعة " الأدب الأندلسي ، موضوعاته و فنونه ، ص : 92، دار العلم للملايين ، الطبعة 5، بيروت ، سنة 1983م.

[3] --محيي الدين بن عربي "كتاب التراجم " ص : 7-18، حققه وقدم له : عبد الرحيم ماردیني ، دار المحبة دمشق / دار أية بيروت 20-02-2003م ط : 1.

فحوله، و أن كل بيئة تنتج نوعا أدبيا و فنيا يعبر أصدق تعبير عن تلك البيئة التي نما و ترعرع فيها ذلك الإنسان المبدع ، سواء أكان شاعرا أديبا أو مفكرا كما هو الحال بالنسبة لابن عربي ، هذا الرجل ولا شك ترك بصماته الإبداعية و الفكرية في سجل تاريخ الفكر و الأدب العربيين. فالكتابة كعملية إبداعية سواء في محال الشعر أو النثر ليست وسيلة للتعبير فقط عما يختلج في نفس الذات الكاتبة و المبدعة ، بل هي تعبير أيضا عن قضايا موجودة في الواقع المعيش من مظاهر طبيعية تشترك فيها سائر المخلوقات، " لذلك نقول بوجود بعد أنطلوجي للكتابة لأنه من خلالها يقوم الإنسان بمساءلة ذاته و علاقاته بالعالم و بالآخرين، من هذا المنطلق يمكننا القول أن الكتابة ليست سلوكا أخلاقيا بمجردا ، ولكنها سلوك مدفوع بماجس إبداعي عميق يخترق التجربة الصوفية بكاملها باعتبارها تجربة تجمع بين فعل الحياة و فعل الكتابة ، وبعبارة أخرى بين السلوك والإبداع "[1] فالكتابة الصوفية تتشكل من بعدين : سيكلوجي يعبر عما يخالج النفس الكاتبة ، و بعد انطلوجي يصف الوجود ، إذن نخلص إلى أن التجربة الصوفية بين فعل الصوفي أو الحياة العامة، و فعل الكتابة المتمثلة في إبداع المبدعين من المتصوفة كتابة إن نثرا أو شعرا، سيما وأن الكتابات الصوفية تختلف من صوفي الآخر ، ومن هنا لا بد من الحديث عن اختلاف أقوال المتصوفة أنفسهم، ذلك أن كل واحد منهم يتكلم من حيث وقته، ويجيب من حيث وجده "[2]

---

[1] - عبد الحق منصف : الكتابة والتجربة الصوفية – نموذج محيي الدين بن عربي ص: 3-4 ، ط: 1، منشورات عكاظ

[2] - عبد الرحمان بدوي : تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ، ص: 61، وكالة المطبوعات الكويت الطبعة 1، سنة 1975م

حيث يستطيع الكاتب أن ينقل لنا الفكرة والصورة و النموذج و العبرة من كلمات مصبوبة في قالب قصيدة أو رواية أو قصة أو في أي نوع من أنواع الكتابة الأدبية إلى قارئ مفترض. لذا فإن ابن عربي يصرح أنه كتب ديوانه " ترجمان الأشواق " لتصوير الحب في أشعاره ، كما عمد إلى وصف المرأة و التغزل فيها إلا أنه من خلال شرحه للديوان يحيلنا إلى دلالة سميائية مفادها العشق الإلهي ، وذلك من خلال شرحه للديوان الذي أفرد له شرحا خاصا في كتاب " الذخائر و الأعلاق" مما يجعل لغة ابن عربي إن دلالة العنوان تدفعنا كقراء إلى طرح السؤال التالي : ما هو سبب هم و ضيق الشاعر؟ على اعتبار أن الزفير كصوت ملفت للانتباه ، و هو بطبيعة الحال رد فعل طبيعى المثير خارجي ترك أثرا بالغا ، انعكس سلبا على نفسية الشاعر. يمكننا أن نخلص إلى القول من خلال ما سبق أن الشاعر وظف كلمات أو مفردات تخدم نزعته الصوفية التي تتسم بالبكائية و الحيرة و الاغتراب.

الشبكة الدلالية الثانية :

من خلال قراءة أولية لهذه المقطوعة المتكونة من خمسة أبيات على وزن واحد و هو البحر الكامل، و منتهية بقافية ميمية موحدة، وهو ما يجعل من الرجل على دراية بقواعد القصيدة العربية الكلاسيكية، حيث استهلها بجملتين فعليتين (أنجد – أقم): أبجد : أتي بنحدا ، كما أن للفعل عدة سياقات متعددة . أما أقم (فعل) : أتى تامة كناية على مكة المكرمة، أتهم البلد: استوخمه و استخبث ريحه، أقسم الرجل : صارت به الريبة[1]. نستخلص إذن من خلال استعمال ابن عربي لهذين الفعلين أنما ينمان عن تقابل و تنافر خلال السياق : أحد الشوق # أهم العزاء ، من خلال هاتين العبارتين المتناقضتين يتضح لنا أن حالة الصراع بين الشوق و العزاء، أو بين الصعود و الهبوط ، خاصة و أن للفعلين معا مرجعية جغرافية ، من خلال هذا السياق يمكننا الإشارة إلى حيرة الشاعر و قلقه النفسي . من الكلمات المفاتيح في هذه المقطوعة مصطلح " الشوق " ، على المستوى المعجمي فإنه يفيد نزوع النفس نحو شيء معين، أي أن الصوفي خاصة يشعر أثناء الشوق بنوع من الإحساس الباطني ، و قد تكون لديه رغبة تدفعه إلى تحقيق ذلك الشيء ماديا أو معنويا، و حضور الشوق له دلالة عميقة تمكن الشاعر الصوفي من وصف حالته النفسية.

و في مقطوعة ثانية يقول ابن عربي أيضا:

هل عندكم من فرج؟

---

[1] ـ قاموس المعاني الجامع

يا حادي العيس بسلع عرج وقف على البانة بالمدرج

يا حسنها من طفلة غرقها تضيء للطارق مثل السرج

من لفتى دمعته مغرقة أسكرة خمر بذاك الفلج

من لفتى زفرته محرقة تيمه جمال ذاك البلج

قد لعبت أيدي الهوى بقلبه فما عليه في الذي من حرج[1]

منذ القراءة الأولية لهذه المقطوعة المختارة ، يتبين لنا جليا أن ابن عربي استهلها بسؤاله عن الفرج : هل عندكم من فرج؟ و الفرج على المستوى المعجمي : فرج ، يفرج ، فرجا ، فهو فارج ، فرج بين الشيئين : جعل بينهما فرجة و شقا ، و الفرج هو التخفيف من شدة الألم و الهم ، نقول فرج الله الهم : كشفة و أزاله، و هنا يمكننا أن نصفه بالبهجة والسرور إن صح أن نطلق هذا التعبير على هذه الحالة. إذا تمعنا في معاني البيت الأول فإننا نجد أن ابن عربي يوجه خطابة إلى ذوي الهمم : (يا حادي العيس): حدا الإبل : ساقها و حثها على السير ، وحادي العيس الذي: الذي يقوم بمهمة الغناء للإبل ، فتطرب لغنائه، و تنشط في سيرها، وتنظم خطواتها على ترنيماته و يصاحب ذلك حركات في جسمها من رفع أذنها و رأسها لتلتقط هذا الصوت الذي يشجيها"[2]أما معنى كلمة العيس: في مختار الصحاح فهي مشتقة من (ع ي س) المقصود بالعيس بالكسر ، الإبل البيض التي يخالط بياضها شيء

[1] - ابن عربي " ترجمان الأشواق " ص 173، (م . سابق)

[2] - يحيى زيلع " حادي العيس " محلة الرياض - العدد 13808، ربيع الأول 1427) أبريل 2006م

من الشقرة ، واحدها أعيس، والنتي: عيساء، ويقال هي كرائم الإبل "[1]. وقبل كلمة " العيس " استعمل أسلوب النداء: "يا حادي" حرف نداء و منادى، و لعله يشير هنا إلى الإنسان الذي يعيش الوحدة و العزلة عن بقية الموجودات. أما المعنى الدلالي للعيس، هو استنهاض الهمم. خاصة وأن ابن عربي يبحث عن الشفاء للألم الذي يخترق ذاته . من خلال ما سبق يتضح لنا جليا أن ابن عربي على دراية كبيرة بسياقات اللغة العربية و استعمالاتها على الرغم من أنه يعيش في بيئة أندلسية تختلف جملة و تفصيلا عما هو عليه الحال بالنسبة لبيئة المشرق ، و لعل هذا يعكس قدرة الشاعر اللغوية و الشعرية في آن واحد، و أن ابن عربي كان اختياره للمفردات و الجمل اختيارا مقصودا يصب في مذهبه الباطني، إذ نجدها تتماشى و ترتبط بالدلالات الباطنية التي يروج لها الرجل نفسه لتخدم الإيديولوجية الصوفية بشكل عام.

و لعل ما يلفت النظر هنا في هذا البيت الموالي هو الحديث عن المرأة أو استحضارها إن صح التعبير، إذ نجده يتغنى بحسن المرأة و يفتتن بجمالها : " يا حسنها من طفلة " و هو بهذه الإشارة للمرأة بتعبير صريح ، لا يخرج عن أحد قواعد الشعر العربي الذي لم يكن يغفل الإشادة بالمرأة ، و لعل ابن عربي كان يدرك جيدا هذه القواعد الشعرية ، إذ كانت رمزا أساسيا في جمالية القصيدة العربية بغض النظر عن الغرض الرئيسي للقصيدة، هذا الأمر يحيلنا بطبيعة الحال إلى أهمية المرأة في الشعر الصوفي.

[1] - معاجم اللغة العربية : https/ /www . maajim . com 20 / / :dictionary

رمزية المرأة في الشعر الصوفي :

إن معظم شعراء الصوفية افتتنوا بالمرأة و جمالها لا سيما ابن الفارض و ابن عربي، حيث جعلوا منها رمزا للجمال الإلهي ، و إذا ما نظرنا نظرة تحليلية لديوان ابن عربي ، نجد أن معظم أشعاره من قصائد و مقطوعات شعرية تتوزع على ستين وحدة شعرية ، يحتل الغزل منها حيزا هاما، و يمكن القول في هذا الصدد أن ابن عربي تأثر بغزل من سبقوه من شعراء الغزل. و هذا لا يعني أن ابن عربي كان مقلدا لسابقيه من شعراء الغزل ، و إنما نجد بوادر الجدة و التميز في شعره على الرغم من أنه كان يمتح من تجارب سابقيه ، و الجدير بالملاحظة أن الغزل " هو الباب الذي يمكن الولوج منه إلى ديوان " ترجمان الأشواق " ، فالغزل أي التعبير عن مشاعر الحب ، ووصف الحبيبة ، هو الذريعة التي دعت ابن عربي إلى نظمه ، و ذلك تعبيرا عن حبه لفتاة اسمها النظام "[1]. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن شاعرنا في تغزله بالمرأة في الترجمان لا يشير صراحة إلى أسماء من تغزل بسن ما عدا مواضع محدودة يذكر فيها اسم محبوبته المنفردة أي النظام ، و هو ما يجسده هذا البيت الشعري:

[1] - وسيم عدنان العطار " ظاهرة التحول في النص و الدلالة في ترجمان الأشواق لابن عربي " ص: 66 مصدر سابق

نظمت نظام الشمل فهي نظامنا عربية عجماء تلهي العارفا

لقد تأثر ابن عربي بالغزل العذري ، و لعل هذا ما تعكسه مساحة مهمة في الديوان ، " فالحبيبة قلما تظهر من خلال وصف المحب لها ، بل تحتل مشاعر الأسى و اللوعة التي تنتاب الشاعر جراء فراقه الحبيبة المساحة الأوسع في شعرهم "[1]. واعتبر ابن عربي في سياق هذا البيت من المقطوعة قيد التحليل:

"يا حسنها من طفلة غرقا تضيء للطارق مثل السرج "

إن جمال و حسن الطفلة " المرأة "هو بمثابة الضوء الذي يمنح النور ، فنورها يتلألأ و يشع للطارق القادم ليلا ، و بطبيعة الحال فالطارق دلالة أو كناية عن الصوفي العارف بالله .و أن هذه المعرفة تتحقق عبر القلب لا عبر العقل كما يعبر على ذلك معظم المتصوفة. و بشكل عام فإننا نجد شعراء الصوفية "استخدموا أسماء المعشوقات و الوصل و الهجر و القرب و البعد إضافة إلى الخمر و ما يتصل بما من حال و أحوال و كأس و ندمان و غير ذلك من الأشياء التي توجد عادة في الشعر الغرامي و الخمري الذي يعبر عن عاطفة إنسانية نحو معشوقة آدمية "[2]. حيث أن ابن عربي توسل هو الآخر بالحمرة شأنه في ذلك شأن شعراء المتصوفة الذين توسلوا " بالرمز الخمري " و ذلك راجع إلى قصور اللغة عن

[1] - وسيم عدنان العطار " ظاهرة التحول في النص و الدلالة في ترجمان الأشواق لابن عربي ص : 65مصدر سابق .

[2] - محمد مصطفى حلمي ، " ابن الفارض و الحب الإلهي "ص: 145، دار المعارف ، مصر ، سنة 1971م

تصوير حالة الوجد و الجوى التي يتلظى بلهيبها المتصوف"[1]كما يعتقد أهل التصوف أنفسهم.

أما بخصوص البيتين المواليين، فقد استهلها ب " من لفتى " و لعل هذا التعبير يحيلنا إلى طرح السؤال التالي : من يقصد ابن عربي بالفتي؟؟ إنه يقصد مفهوم و مقام الفتوة في القرآن الكريم ، و هو يستحضر قوله تعالى : " سمعنا فتي يذكرهم اسمه إبراهيم "[2]. من هنا يمكن القول أن ابن عربي متشبع بالتعاليم الإسلامية، و لعل هذا ما جعله يفسر مذهبه " و حدة الوجود " من خلال تأثره الشديد بتعاليم القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، حيث نجده يوظف هذه التعاليم في عدة مواضع من الديوان. و هذا الفتى " أسكره خمر" و السكر كما هو معروف لذة بالنسبة لشارب الخمر ، حيث أنهم يغيبون عن الواقع إلى اللاواقع ، و لعل ابن عربي هنا يشير إلى ذلك الإنسان الصوفي الغائب في حب الله .

[1] - نور الدين ناس الفقيه : أحمد بن عجيبة شاعر التصوف المغربي "ص": "37"، مصدر سابق .

[2] - القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، أية 60.

الخاتمة :

بعد الانتهاء من هذه المقاربة التحليلية لبعض أشعار ابن عربي و التي تم اقتباسها من ديوانه " ترجمان الأشواق"، فقد تمكنا من الوقوف على جملة استنتاجات يمكن رصدها على النحو التالي: جاءت قصائد الديوان " ترجمان الأشواق " لابن عربي مثقلة بالمصطلحات ذات الحمولة الصوفية ، حيث أننا نجد كل مصطلح يحمل في طياته كما هائلا من المعاني المتفجرة عند إخضاعها لمبدأ التأويل، و لعل هذا ما جعل شعره ينم عن قدرة تعبيرية هائلة، فقد استطاع الرجل أن يغير طبيعة نصة الغزلي المحسوس إلى طبيعة محردة و مطلقة تعبر عن الحب الإلهي. إن الألم و المعاناة خاصيتان لازمتا ابن عربي في جل أشعاره، إذ نجده يتشبث بالألم ، و يتعلق بمعاناته تعلقا شديدا إلى أقصى حدود ، و صور عشقه الصوفي على أنه أرقى عشق في العالم، لأنه مبني على الانفصام و الاغتراب .

إن ما يميز الشعر الصوفي بشكل عام ، و شعر ابن عربي بشكل خاص ، هو السمو الروحي ، واستكناه المعاني النفسية العميقة، و الخضوع لإرادة الله القوية، فضلا عن الإغراق في الخيال ، واستعمال الرمز ، و التشبث ببعض الشطحات الصوفية في كثير من الأحيان، كما أن شعر ابن عربي ميزه الميل نحو الأمام و الغموض ، والتأرجح بين الظاهر والباطن ، و التأثر بمبادئ الشريعة الإسلامية السمحة.

خاتمة :

عالج هذا البحث التجربة الشعرية و التجربة الصوفية ضمن محورين :

ففي المحور النظري عمد البحث الى رصد الجوانب النظرية و المواقف الفكرية ، و كشف العناصر الأساسية التي تقوم عليها التجربة الشعرية باعتبارها الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر .

و في المحور الابداعي تناول ظاهرة التصوف و تماهت الرؤية الفنية بالرؤية الصوفية ن مما يؤدي التلاقي بين الفن و التصوف في جوانب ليعبر عن الأسى الداخلي تجاه تردي صورة الانسان ، و معناه في هذا العالم.

و عموما يمكن رصد أهم النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية :

1-التجربة الشعرية تجربة تأملية دنيوية تستقي عطاءها الشعري من عدة عوامل : اجتماعية، و تأملية ، و نفسية.

2-التجربة الصوفية تجربة علوية روحية في المقام الأول ، تتطور و ترتقي بالذكر و سلوك طريق الصوفية.

3- التجربة الشعرية الصوفية تجربة رمزية يتواشج فيها المادي و التجريدي و الانساني و الأهلي.

4- تجسيد التجربة الشعرية الصوفية من خلال الشعر الذي ساهم في بلورة مفهوم هذا اللون من التجربة.

5- تعتبر الغة الصوفية الشعرية لغة رمزية إشارية بالدرجة الأولى.

6- تهدف التجربة الصوفية إلى اصلاح القلوب و أفرادها لخالقها.

- تبنى على عدة قواعد أهمها صفاء النفس و محاسبتها.

7- التجربة الشعرية مجموعة من النزعات تسعى الى أن تعود الى حالة الهدوء

*تتشكل التجربة الشعرية من حقيقة حسية أو نفسية.

8- إن التجربة الشعرية الصوفية تمثل نسقا أدبيا فريداَ من نوعه كونها تستند على أحاسيس و لحظة غياب صرح بها ابن عربي

9- أهم خصائص التجربة الصوفية تكمن في أنه تجربة ذاتية روحانية خالصة و دينية و هي لا تتسم بالنسقية المنطقية ، و ليست تجربة مشكلة إضافة الى تجاوزها للمعرفة الانسانية ، تبرز مراتب التصوف و قواعده

10- التجربة الشعرية هي رؤية و معايشه و انفعال صادق .

*هي تجربة لشاعر على صلة بالحقائق النفسية و الكونية التي تتقوم بها تجربته ، كما أن مركزها هو الشاعر.

11- التجربة الشعرية الصوفية ذات هالة دلالية قوية فهي صورة فنية استشعر بنوريتها

12- التجربة الصوفية ليست مجرد تجربة في النظر ، وانما هي تجربة في الكتابة أفصح عنها الصوفي بالشعر و بلغة البحث النظري و الشرح.

*الصوفية هي الوسيلة الأولى لإفصاح عن الأسرار و اللغة الأولى للمعرفة

13- التجربة الشعرية عند ولسن : إمحاء شخصية الشاعريين عالمه الداخلي ، والعالم الخارجي

14- تبدأ الارهاصات الأولى للتصوف بعد ظهور الاسلام ، وتجلى ذلك بعد عهد الصحابة و التابعين ، ويظهر ذلك لدى الدكتور أحمد علوش بسبب دخول أمم شتى و أجناس في الإسلام.

15- التجربة الصوفية ظاهرة دينية تتسم بالعالمية فلا تتقيد بحدود الزمان و المكان ، فلا وطن لها و لا تاريخ ميلاد.

الصوفية منهج علمي كامل.

16- التجربة الشعرية تجربة فنية تنتج بسبب أفعال كونية متعددة (الفعل الأخلاقي ، الفعل السياسي ، الفعل الديني)

*إن التجربة الشعرية الصوفية في حياة محى الدين بن عربي تجربة يتضافر في بنائها اللغوي عاملان : دنيوي و ديني.

تشتمل التجربة الشعرية الصوفية لدي محى الدين على رحلتين: سماوية و أرضية.

و الأولى مرحلة إنشاء ديواته ترجمان الأشواق ، أما الثانية : فتتمثل في شرحه لأبيات و دراستها دراسة صوفية.

قائمة المصادر و المراجع :

-القران الكريم

- معجم مقاييس اللغة ، أحمد ابن فارس ، المحقق عبد السلام محمد هارون الجزء 3 ، دار الفكر ، مصر ، ط 2 ، 1989

- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ص، و ، ف) ، ط1، دار صادر ، لبنان .

-ابراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، ج1، د ط ، د ت ، دار الكتبة الاسلامية ، تركيا

-عبد الله البستاني ، البستان ، م1 ، ط1، 1996 ، مكتبة لبنان.

-تاج العروس من جواهر القاموس – الزبيدي ، المجلد التاسع 18/17 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007م

- الصحاح ، الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار الجزء ال 3 ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، ط 4 ، 1990

- كتاب التعريفات علي الجرجاني ، تحقيق نصر الدين تونسي ، شركة القدس – القاهرة- ط1 ، 2007

- حقائق عن التصوف ، الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله * التصوف كله أخلاق ، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف ، دار العرفان ، حلب /سوريا، ط 11 ، 2000م

-إحسان إلهي ظهير ، التصوف ، المنشأة – المصادر ، ط1، 2008م ، دار ابن حزم القاهرة

-علاء بكر ، مختصر تاريخ التصوف ، ط 1 ، 2012 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة

– ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ط1، 2011 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة

– عبد الحميد هيمة الخطاب الصوفي و اليات التأويل دار ابن بطوطة للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2007

– صادق بن سليم صادق المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضا و نقدا ، ط1 ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1995

–محمد علي أبو ريان ، الحركة الصوفية في الاسلام ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية مصر 2007

–علجية مودع ، النص الصوفي و فضاءات التأوبل ، قراءة في تجربة ابن فارض الصوفية من خلال قصيدة التائية مخطوط لنيل الماجستير ، صالح مفقود قسم الأداب و اللغة العربية ، جامعة محمد خضير بسكرة 2010

– صادق ابن سليم صادق المصادر العاممة للتلقي عند الصوفية عرضا و نقدا

–– د.محمد زياني ، فلسفة اللامعقول في الخطاب الصوفي ، (ابن عربي نموذجا) 2017

–د. حاكمي لخضر ، التجربة الشعرية الصوفية ، تأليف : لخضر حاكمي ، ط 1 ، 2019 ، ص 9 ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع

–د. نهاد خياطة ، دراسة في التجربة الصوفية ، دار المعرفة : دمشق – سوريا ، ط 1 ، 1994م

– صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري ، الجعقبي ، تحقيق د، مصطفى ديب البغا 7 أجزاء ، دار بن كثير ، بيروت ، ط 1414

– مقدمة ابن خلدون– عبد الرحمن ابن خلدون ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2000

– دراسات في الفكر العربي الاسلامي *أبحاث في علم الكلام و التصوف و الاستشراق و الحركات الهدامة ، عرفان عبد الحميد فتاح ، دار الجبل ، بيروت ط1 ، 1991

– الأدب في التراث الصوفي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي – دار غريب للطباعة– لا ظو علي ، القاهرة ، د.ط / د/سنة

– منصور ابراهيم : الشعر و التصوف ، دار الأمين ، القاهرة ، د.ط .

–د.جميل صليبا: المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية و اللاتينية)،دار الكتاب العالمي ، بيروت ، لبنان ، ط 1994 م ، ج

–ينظر : مراد وهبه: المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة – القاهرة ، ط /2007م

–أزشيبالد مكليش: الشعر و التجربة ، تر: سلمى الخضراء الجيوسي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة : القاهرة – مصر ، ط 1966م

– ريتشاردز : العلم و الشعر ، تر : مصطفى بدوي ، المؤسسة العامة للترجمة و الطباعة و النشر ، القاهرة ، 1963

–قاسم ، عدنان حسين : التصوير الشعري– المنشأة الشعبية للنشر و التوزيع و الاعلان ط1 ، 1980 ، طرابلس

–برتيلمى ، جان : بحث في علم الجمال – ترجمة أنور عبد العزيز – مراجعة نظمى لوقا – دار نهضة مصر القاهرة ، د.ت

-كولن ولسون : الشعر و الصوفية تر : عمر الديراوي أبو حجلة ، دار الاداب بيروت ، لبنان ، ط 2 : يناير 1979

- روستيربفور هاملتون : الشعر و التأمل تر : مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة القاهرة ، 1963

- هاملتون : ر: الشعر و التأمل ترجمة محمد مصطفى بدوي ، مراجعة سمير ، القلماوي ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف و الطباعة و النشر ، القاهرة ، د ت ، ص

-سلوى محمد أحمد عزازي : مناهج و طرق تدريس اللغة العربية ، عضو الجمعية الصمرية للمعلمين ، مكتبة الكتب ، الوسائط المتعددة 14 سبتمبر 2010.

- غازي مختار طليمات ، التذوق الشعري ..... ظوابطه و عوامله (2) ، 14 مارس 2002

- ابن عربي : " ترجمان الأشواق " ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، سنة 1981م

- العطار و سيم عدنان : " ظاهرة التحول في النص والدلالة في ترجمان الأشواق " رسالة ماجستير كلية العلوم والآداب – الجامعة الأمريكية – بيروت ، لبنان سنة 2004م

- الفقيه نورالدين ناس – أحمد بن عجيبة شاعر التصوف – رسالة دكتوراة ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب ، 2005م / 1426هـ.

- بدوي عبد الرحمان : تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ، وكالة المطبوعات الكويت الطبعة 1، سنة 1975م

- زيعور علي : " الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم - القطاع اللاواعي في الذات العربية (التحليل النفسي للذات العربية) ، ط : 1، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، لبنان / 1977م

- زيلع يحيي" حادي العيس " مجلة الرياض - العدد 13808، ربيع الأول 1427/ أبريل 2006م

- مروة حسين : " النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، ج 2، دار الكتاب العربي ، بيروت -لبنان

- منصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفية - نموذج محيي الدين بن عربي ، ط : 1، منشورات عكاظ.

- مفتاح محمد : " تحليل الخطاب الشعري " ، دار التنوير ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة 1985م .

- مفتاح محمد " دينامية النص " ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، عام 1987م

- غلاب عبد الكريم - دفاع عن فن القبل - ، دار الفكر المغربي - الرباط - المغرب ، سنة 1972م

المواقع الالكترونية :

- نادين مدحت www.khayma.com/28/8

-www.shanaway.ahlamontada.com المناهج الدراسية ، أشرف علي ، 6 ابريل 2012

- د: سلوى عزازي ، 14 سبتمبر 2010، www.delta-schools.com/vb/t10654.html

-التذوق الشعري بقلم الدكتور غازي مختار طليمات 2002، www.albayan.ae

https : / / www . amaajin . com / dictionary-

الملاحق :

أعلام التصوف :

1-الحسين بن منصور الحلاج: 244هـ-309هـ/ 858م-922م

ولد " أبو الحسن بن منصور" المعروف بالحلاج ببلاد فارس قيل " بالبيضاء" و قبل "بتستر" ،وقيل "بواسط" ، تتلمذ على يد " التستري سهل بن عبد الله " ومنه أخذ شيء من التصوف ، ثم خرج إلى بغداد و منها الى البصرة أين تشرب مبادئ الصوفية و عقائدها و أتقن حرفتها و اتخذها سبيلا و منهجا ، و بعدها انتقل الى مكه حاجاً بيت الله الحرام.

ويعود أصل تسميته " بالحلاج" لكلامه في بدء أمره على أسرار المريدين فلقب: حلاج الأسرار ، أي أنه كان عليما بأسرار المقبلين على التصوف حيث كان يلقنهم إياها.

كما يقال أن تسمية بالحلاج عائد " لكونه عمل في " واسط" عند حانوتي في القطن حلاجا ، أي أنه عمل في بداية حياته في محل لغزل القطن .

2-محي الدين ابن عربي : 560هـ-638 / 1165م – 1240م

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله العربي الطائي ، من ولد حاتم "طي" العربية المشهورة.

ولد في مدينة " مرسية" بالأندلس (560هـ) الموافق 1165م و كان والده على بن محمد من علماء الحديث و الفقه و أعلام الزهد و التصوف، انقسمت حياته الى اربع مراحل رئيسية:

الأولى : مرحلة التحصيل العلمي و تنحصر في النوات العشرين الأولى من عمره و كانت بالأندلس.

الثانية : رحلته الى المغرب الاسلامي حيث زار المغرب و الجزائر و تونس و هو في حدود الثلاثين من عمره.

الثالثة : السياحة في المشرق الاسلامي حيث زار عدد من دول المشرق و استقر بمكة و هو في الأرعين من عمره.

الرابعة : إستقراره بمدينة دمشق حتى وفاته ، حيث اشتهر فيها بورعه و تقواه ، فتنافس الملوك على استقطابه ، و تزاحم العامة على بابه.

3-رابعة العداوية : 100 هـ -180هـ / 717م - 787م

إختلف الباحثون في شخصية " رابعة العدوية" ، و المشهور أنها ولدت بالبصرة في سنة 100 هـ /717م ، ويرجع الباحثون أصل تسميتها " رابعة العدوية" الى أنها البنت الرابعة التي ولدت بعد ثلاث بنات لأبيها وقد عاشت في البصرة خلال القرن الثاني الهجري ، و ماتت عن حوالي ثمانين عاما و يرجع أن " رابعة العدوية" هي رائدة العشق الإلهي هذا لما عاشته من فقر و حرمان و فاقه ، حيث يذكر المؤرخون أنها كانت متشردة فابتاعها تاجر

رقيق ، ثم باعها إلى رجل غليظ كان يثقل عليها بالأعمال ، و في أحد الأيام ، خرجت في حاجة سيدها و هي في تعب شديد، " فراحت تناجي ربها، فسمعت صوتا من السماء يناديها و يبشرها بأنها ستكون من المقربين"

وكان هذا هاتفا من السماء أوقع الطمأنينة في قلبها ، فلزمت حلقات المساجد و تفرغت للعبادة و الزهد ، و انقطعت عن الدنيا و ملذاتها و استأنست بالعشق الإلهي.

4-عبد القادر الجيلاني 470هـ-561هـ:

ولد الإمام عبد القادر الجيلاني في حيلان، و لما الثامنة من عمره رحل الى بغداد لطلب العلم ، وبدا بفقه الحنابلة ثم سلك طريق التصوف ، و إشتهر به و كون طريقته التي عرفت بالطريقة القادرية و التي بناها على الكتاب و السنة و جميع فيها بين الأصول و الفروع أي بين علوم الأصول و الفقه و التصوف ، كما فعل الام الغزالي.

ولقد بدأ الشيخ الجيلاني تصوفه بالوعظ و الارشاد و الاصلاح نفوس المسلمين و محاربة الفساد الذي كان منتشرا في عصره ، و توفي الشيخ الجيلاني في 561هـ.

بعض المصطلحات الصوفية :

- الحقيقة : ورد مصطلح الحقيقة في ألفاظ الصوفية على عدة معان ، تدور أغلبها حول الصدق في الايمان و كمال المراقبة و المداولة على النظر في أفعال الله.
- الحكمة : هي الاطلاع على أسرار الأشياء و معرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها ومعرفة ما ينبغي بالشروط التي تنبغي ، فمن عرف الحكمة و يسر للعمل بها فذلك الحكيم الذي أتاه الله الحكمة ، فأحكم و ضع الأشياء في مواضعها.
- التذوق يراد به الذوق الايماني تشبيها له بالتذوق في المحسوسات فالأذواقالتي يشير القوم إليها هي علوم لا تنال الا لمن كان خالي القلب عن جميع العلائق و العوائق كلها.
- العالم : من أطلعه الله على ذلك ، لا عن شهود ، بل عن يقين
- العبادة : و هي غاية التذلل لله و هي للعامة
- العبودية : للخاصة الذين صححوا النسبة الى الله بصدق القصد إليه في سلوك طريقه.
- المعرفة :هي المعرفة بالله تعالى

وهي أخذ الله للعبد أخذا لا يعرف له أصلا و لا فصلا و لا سببا يتعلق فيه بكيفية مخصومة و لا يبقى له شعور و شواهده بل تقع عن تجلي إلهي ليس له بداية و لا غاية و لا يوقف له على حد ولا غاية.

المقدمة

الفصل الأول

الفصل الثاني

الخاتمة

قائمة المراجع

الجانب التطبيقي

الملاحق